أسرار الفرائد القرآنية
في بعض السور القرآنية
النبأ ـ النازعات ـ عبس ـ التكوير

إعداد الدكتورة
وردة عبدالرحمن عبدالسميع
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

أسرار الفرائد القرآنية في بعض السور القرآنية
النبأ . النازعات . عبس . التكوير

وردة عبدالرحمن عبدالسميع
قسم التفسير وعلوم القرآن كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر الشريف، مصر
البريد الالكتروني:
Wardaabdasamiez.67@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى الانطلاق من كون القرآن الكريم معجزة خالدة ، فهو الذي لا تنفذ عجائبه ولا ينقطع مدده لتعدد مواطن إعجازه وفصاحته وبلاغته وبيانه معنى ونظمًا ، ولذا كان البحث عن الفرائد في جزء عم (من خلال سور: النبأ، النازعات ، عبس ، التكوير)حيث تنوعت الموضوعات التي وردت فيها تنوعًا كثيرًا ، ولقد تناول البحث هذه الموضوعات فوجد أن هذه الفرائد وردت خلال الحديث القرآني من السموات والأرض وغيرها من مظاهر الطبيعة المختلفة كما وردت خلال الحدث القرآني عن يوم القيامة والبعث والنشر والجنة والنار كما وردت في سياق الحديث عن الحيوانات والنباتان والبلدان، وجاءت أيضًا في سياق الحديث عن القصص القرآني، والحديث عن المؤمنين والكفار والمنافقين والملائكة وعن رب العالمين سبحانه وتعالى.

الكلمات المفتاحية: أسرار، الفرائد، السور، النبأ ، النازعات ، عبس ، التكوير .

Secrets of the Qur'anic Peculiarities in Some Surahs of Qur'an: Al-Nabaa, Al-Nazi'at , Absa and Al-Takwir

Warda Abd-ELrahman Abd-ELsameea

Department of Interpretation and Qur'an Sciences, College of Islamic and Arab Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: Wardaabdasamiez.67@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to emerge from the fact that the Noble Qur'an is an immortal miracle, for it is the one whose wonders are everlasting and its extension is not interrupted due to the multiplicity of its miracles, its eloquence, rhetoric, semantics and texture. Therefore, the research was to focus on novelties within "Amma" section (through surahs: Al-Naba ', Al-Nazi'at, Absa and Al-Takwir) in which the topics, that are mentioned, are varied greatly. The research has dealt with these topics and found that these peculiarities were mentioned during the Qur'anic Hadith from the heavens and the earth and other various aspects of nature. It was also mentioned during the Quranic Hadith on the Day of

Resurrection, Revival, Restoration, Heaven and Hell. Furthermore, it was mentioned in the context of talking about animals, plants and countries. It was also cited in the context of talking about Quranic stories, and talking about believers, infidels, hypocrites and angels, and about the Lord of the worlds, glory be to Him.

Key words: Secrets, Peculiarities, Surahs of the Qur'an, Al-Nabaa , Al-Nazi'at , Absa and Al-Takwir

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من بين خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك٠

فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين٠

سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم٠

وبعد ...

فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد أنزله الله عز وجل بلسان عربي مبين تحدى به الأنس والجن أجمعين فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سور منه أو بأقصر سورة منه بل عجزوا عن مجاراته، فهو الذي لا ينفذ عجائبه ولا ينقطع مدده أودع الله فيه علم كل شيء فهو الوافي بجميع حاجات البشر وما يحقق سعادتهم دينًا ودنيا٠

فجاء في قمة كمال الفصاحة والبلاغة والإعجاز وفي ذروة البيان معنى ونظمًا ومفردات فكل لفظة بل كل حرف قد وضع في موضع سديد يتناسب مع سياق النظم للسابق له واللاحق ولو وضع حرفًا آخر مكانه لاختل المعنى المراد وفسد ولم يتأت الغرض المقصود واختل السياق وتغير نظمه الفريد الذي بلغ النهاية القصوى في فصاحته وبلاغته وإعجازه فهو المعجزة الخالدة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم خبير وهو في ثناياها ما يسمى بالفرائد

وهي تلك الألفاظ الفرائد التي ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم لم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها.

وقد تم التعبير بتلك الفرائد دون ما يقاربها في معناها لسر وحكمة اقتضاها النظم والسياق القرآني الذي سيكشف عنه البحث بمشيئة الله تعالى.

وقد عكفت على استقصاء المادة العلمية لهذا البحث من معجم الفرائد القرآنية لباسم سعيد البيومي ـ ط١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م وكان لجزء عم كاملاً.

وبعد استقصائها وجدتها ثمان وخمسون فريدة ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يتأت البحث على جميع فرائد جزء عم نظرًا للتقيد بعدد الصفحات المسموح بها .

وعليه فقد تم اختيار بعض سوره ليكون البحث بعنوان:

أسرار الفرائد القرآنية في بعض السور القرآنية

النبأ ــ النازعات ــ عبس ــ التكوير

وتلك الفرائد في جزء عم قد تنوعت الموضوعات التي وردت فيها تنوعًا كثيرًا فقد حصرت هذه الموضوعات فوجدت أن الفرائد وردت خلال الحديث القرآني من السموات والأرض وغيرها من مظاهر الطبيعة المختلفة كما وردت خلال الحدث القرآني عن يوم القيامة والبعث والنشر والجنة والنار كما وردت في سياق الحديث عن الحيوانات والنباتان والبلدان، وجاءت أيضًا في سياق الحديث عن القصص القرآني، والحديث عن المؤمنين والكفار والمنافقين والملائكة وعن رب العالمين سبحانه وتعالى.

هذا وسيقتصر البحث هنا على الفرائد القرآنية في بعض السور القرآنية ـ النبأ ـ النازعات ـ عبس ـ التكوير.

ومن ثم فحظت الدراسة لهذا البحث، وقد اشتمل على: تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: أسرار التعبير بالفرائد في سورة النبأ.

واحتوى هذا المبحث على ثلاث فرائد فحسب.

المبحث الثاني: أسرار التعبير بالفرائد في سورة النازعات.

وورد فيه ست فرائد فقط.

المبحث الثالث: أسرار التعبير بالفرائد في سورة عبس.

ويضم هذا المبحث ثلاث فرائد فحسب.

المبحث الرابع: أسرار التعبير بالفرائد في سورة التكوير.

ويشتمل على ثمان فرائد.

وخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

وفهرسًا للمراجع وفهرسًا للموضوعات.

هذا، وقد سرت في تحليل تلك الفرائد، على نهج متلائم يتمثل في الخطوات الآتية:

١ – ذكرت في بداية كل مبحث نبذة موجزة عن تعريف السورة من حيث اسمها ونزولها وعدد آياتها ثم أعقبتها بذكر الفرائد مجمعة بين يدي كل مبحث مرتبة حسب دراستها (ترتيب المصحف الشريف).

٢ – ذكر الفريدة وعزوها في الهامش برقم الآية، واسم السورة.

٣ – ذكر ما ورد في كتب اللغة والتفسير من معان لهذه الفرائد، وقد اعتمدت في بيان معنى الفريدة ــ غالبًا ــ على كتاب «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي» وأيضًا ــ مفردات غريب القرآن للأصفهاني، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، ولسان العرب لابن منظور وغيرهم، وفي كتب التفسير اعتمدت ــ في الغالب أيضًا ــ على كتاب فتح البيان للشيخ صديق خان، ونظم الدرر للبقاعي وذكرت مناسبة الآيات لما قبلها، وفتح القدير للشوكاني وغيرهم من كتب أئمة المفسرين.

٤ – بدأت تحليل الفرائد بذكر الدلالات اللغوية ثم معناها التفسيري وبدأته بمناسبة الآيات التي وردت فيها الفرائد لما قبلها، ليتضح السياق العام للآيات.

٥ – أعقبت ذلك ببيان العلاقة بين معناها اللغوي والتفسيري.

٦ – حرصت على ذكر سياق الفريدة بإيجاز، واستصحاب السياق العام للآيات ــ مع بيان أن هذه الفرائد قد اقتضاها سياق الكلام واستدعاها المعنى العام.

٧ – ختمت تحليل الفرائد بعد ذلك كله ببيان سر تفردها في هذه المواضع القرآنية من السور القرآنية دون غيرها.

وبعد ...

فهذا ما هديت إليه فإن وفقت فالفضل لله وحده وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأستغفر الله لذنبي وحسبي أني بذلت جهدي والله من وراء القصد .

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكرم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

وقبل البدء في هذا البحث نبين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفرائد.

فالفرائد في اللغة: جمع فريد وفريدة، والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضًا الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وقيل الفريد بدون هاء: الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، وقيل فرائد ـ الدر كبارها ـ وتفرَّد بكذا واستفرده انفرد به.

واستفرد الغواص هذه الدرة: لم يجد معها أخرى، وفلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة.

فالدر فيها فريد والذهب مفرد والواحدة فريدة، وقيل: الفريد الشذر، والفريد ـ الفرد والحب من فضة وغيرها يفصل بين حبات الذهب واللؤلؤ في العقد والدر إذا نظم وفصل بغيره وواحدته فريدة[1].

تعريفها الاصطلاحي كمصطلح بلاغي ـ تحت باب الفرائد لابن أبي الأصبغ في كتابه "تحرير التحبير" ذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة دون البلاغة، لأن مفهومه إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشد عربيته، حتى أن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها[2].

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور: حرف الدال المهملة فصل الفاء جـ٢/ صـ٣٣١، ٣٣٢ ـــ ط دار صادر بيروت ـ الطبعة الثالثة، وأسرار البلاغة للزمخشري تحقيق محمد باسل ـ كتاب الفاء / فرد/ جـ٢/ صـ١٥ ، ط دار الكتب العلمية، ومختار الصحاح للرازي / باب الفاء / فرد/ صـ٢٣٢/ ط دار المنار، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ـ القاهرة، جـ٢/ صـ٦٨٠ ط دار الدعوة.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبدالعظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي، المتوفى سنة ٦٥٤هـ ـــ تحقيق د/ حفني محمد شرف ـــ باب الفرائد جـ١/ صـ٥٧٦ ـــ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

والفرائد عند السيوطي في اتقانه في علوم القرآن[1] متدرج في النوع الثامن والخمسون في بدائع القرآن هو مختص بالفصاحة دون البلاغة لأنه الإتيان بلفظه تتنزل منزلة الفريدة من العقد ـ وهي الجوهرة التي لا نظير لها ـ تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها ـ ومنه لفظ حصحص ـ في قوله: ﴿ **ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ** ﴾ والرفث في قوله: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ** ﴾، ولفظة "قزع" في قوله: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ** ﴾، وخانته الأعين في قوله: ﴿ **يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ** ﴾ وألفاظ قوله: ﴿ **فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا** ﴾ وقوله: ﴿ **فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ** ﴾.

إذن الفرائد في القرآن الكريم تعني تلك الألفاظ التي اكتسبت صفة الفردية حيث ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم ولم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها فلم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحيانا.

فهي منتظمة ومتناسقة في سلك النظم القرآني البديع بما قبلها وبما بعدها بحيث لا يغني عن غيرها عنها في موضعها ولو سقطت أو بدلت بغيرها لعز على الفصحاء غرامتها ولأدى ذلك إلى اختلال النظم وفساد السياق وتغير النظم الفريد للآيات الكريمة فسبحان من كان هذا كلامه.

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ٣/ صـ٣١٩ ـــ ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

المبحث الأول

أسرار التعبير بالفرائد القرآنية في سورة النبأ

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة "سورة النبأ" لوقوع كلمة "النبأ" في أولها.

وسميت في بعض المصاحف وفي صحيح البخاري وفي تفسير ابن عطية والكشاف "سورة عم يتساءلون" وفي تفسير القرطبي[1] سماها "سورة عم" أي بدون زيادة "يتساءلون" تسمية لها بأول جملة فيها وسماها أيضًا بالنبأ.

وتسمى "سورة التساؤل" لوقوع ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ في أولها، وتسمى سورة "المعصرات" لقوله تعالى فيها: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾.

فهذه خمسة أسماء، وأقتصر في الاتقان[2] على أربعة أسماء: عم، والنبأ، والتساؤل، والمعصرات.

وهي مكية بالاتفاق.

وعد آيها أصحاب العدد من أهل المدينة والشام والبصرة أربعين.

وعدها أهل مكة وأهل الكوفة إحدى وأربعين آية[3].

وباستقراء السورة المباركة وجدتها اشتملت على ثلاث فرائد لم تتكرر مطلقًا مادة وصيغة، هي على ترتيب دراستها.

وباستقراء السورة الكريمة وجدتها قد اشتملت على ثلاث فرائد لم تتكرر مطلقًا مادة وصيغة، هي على ترتيب دراستها [وهاجًا ـ ثجاجًا ـ دهاقًا] وسوف نركز على

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٩/ ١٦٩ / ط دار الكتب المصرية.
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ١ صـ١٩٦ ـــ جـ١ صـ٤٠، ٤١ .
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور : مجلد ١٥/ جـ٣٠/ صـ٥ ط دار سحيون.

دراسة تلك الفرائد ولن نعرض للألفاظ التي تجاورها في الآيات إلا بقدر ما يقتضيه سياق البحث والدرس.

فنبدأ وبالله التوفيق:

الفريدة الأولى: ﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** ﴾[1]:

والسر وراء مجيء الفريدة ﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ مرة واحدة لم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ، وقبل بيان ذلك نعرج على ما ورد لدى أهل اللغة والتفسير حول معنى هذه اللفظة.

يقول السمين الحلبي في عمدة الحفاظ ﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ وهج في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** ﴾ استعالها. والمعنى: جعلنا سراجًا مضيئًا قوي الضوء، والمعنى به الشمس.

والوهج: حصول الضوء وقوته. وقد وهجت النار توهج، ووهجت تهج أي اتقدت. وتوهجت الحرب، على الاستعارة نحو: توقدت، وتوقد الجوهر، أي: تلألأ توقدًا»[2].

فالنار وهج شديد، وتوهج، وسراج وهاج، ومن المجاز: توهج الجوهر: تلألأ[3].

---

(١) سورة النبأ: الآية ١٣ .

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأحمد بن يوسف بن عبدالدائم السمين الحلبي ـــ باب الواو/ فصل الواو والهاء/ جـ٤/ صـ٣٤٥، ٣٤٦ / ط: دار الكتب العلمية.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري: كتاب الواو، وهج، جـ٢ صـ٣٥٧ ـــ ط دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ لبنان.

ويقول أيضًا في الدر المصون[١] قوله: ﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ في قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** ﴾[٢].

الوهاج: المضيء المتلألئ، من قولهم: وهج الجوهر، أي تلألأ. ويقال: وهج يوهج كوجل يَوْجل ووهج يهج كوعد يعد.

وأيضًا في غريب القرآن لابن قتيبة[٣]:﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ أي: وقادا، يعني: الشمس، وكذلك في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني[٤] : الوهج حصول الضوء والحر من النار، والوهجان كذلك وقوله: ﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** ﴾ أي: مضيئًا، وقد وهجت النار توْهج، ووهج يهج ويوهج، وتوهج الجوهر: تلألأ.

والوهج في لسان العرب: وَهَجَ: يومُ وَهِج ووهجان: شديد الحر؛ وليلة وهجة ووهجانة، كذلك، وقد وهجا وهجًا ووهجانًا ووهجًا وتوهجًا. والوَهَج والوَهْج والوهجان والتوهج: حرارة الشمس والنار من بعيد. ووهجان الجمر: اضطرام توهجه.

والوهج، بالتسكين: مصدر وهجت النار تهج وهجًا ووهجانًا إذا اتقدت. وقد توهجت النار ووهجت توهج: توقدت، والوهج والوهِج: تلألؤ الشيء وتوقده.

و"وهج الجوهر": تلألأ. وفي التنزيل: ﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** ﴾ قيل: يعني الشمس. ووهج الطيب ووهيجه: انتشاره وأرجه. وتوهجت رائحة الطيب أي توقدت[٥].

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي عباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي ـــ ت(٧٥٦) تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ـــ جـ١٠/ صـ٦٥٠ ـــ ط دار القلم ـــ دمشق.

(٢) سورة النبأ: الآية ١٣ .

(٣) غريب القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦هـ / تحقيق: أحمد صقر/ ط دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م ـــ جـ١ صـ٥٠٨ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الواو/ صـ٥٣٣ ـــ ط دار المعرفة.

(٥) لسان العرب لابن منظور/ حرف الجيم/ فصل الواو/ جـ٢/ ٤٠١ ط دار المعارف.

والوهج في بصائر ذوي التمييز[١]: حصول الضوء وقوله: ﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** ﴾ أي: مضيئًا متوقدًا. وقد وهجت النار توهج ووهج يهج. وتوهج الجوهر تلألأ.

وإلى ذلك ذهب المفسرون: فقال البقاعي في مناسبة الآية لما قبلها: لما ذكر السقف: ذكر بعض ما فيه من أمهات المنافع فقال دالا بمظهر العظمة على عظمها: ﴿ **وَجَعَلْنَا** ﴾ أي مما لا يقدر عليه غيرنا. ﴿ **سِرَاجًا** ﴾ أي: نجما منيرًا جدًا ﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ أي هو مع تلألئه وشدة ضيائه حار مضطرم الاتقاد وهو الشمس من قولهم: وهج الجوهر: تلألأ، والجمر: اتقد[٢] فوهاجًا أي: جعل فيه نورًا وحرا، فالوهج يجمع النور والحرارة[٣] أي متلألئًا مضيئًا وقادًا: يعني الشمس[٤] وتوهجت النار: إذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها[٥].

وقال بذلك البيضاوي أيضًا[٦]: متلألئًا وقادًا من وهجت النار إذا أضاءت، أو بالغًا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس.

فتبين من ذلك أن ﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ يفيد الكمال في النور كما قال البعض فيما سبق.

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي بصيرة في وهج ووهن ووهى/ جـ٥/ صـ٢٨٧ ط: المكتبة العلمية.

(٢) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١ صـ١٩٧، ١٩٨، ط دار الكتاب الإسلامي.

(٣) راجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي جـ٢ صـ٥٩٠ ط دار الكلم الطيب، وفتح البيان للسيد الإمام العلامة الملك المؤيد من الله الباري أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي النجاري ١٢٤٨هـ/ ١٣٠٧ ، جـ١٥/ صـ٣٢ ط المكتبة العصرية ـــ صيدا ـــ بيروت، وفتح القدير للشوكاني جـ٥/ ٥١٨ ط:دار الحديث، وجامع البيان للطبري جـ٢٤/ صـ١٠ ط دار هجر للنشر.

(٤) راجع محاسن التأويل للقاسم م١٠/ جـ١٧/ صـ٣٠ ط دار الفكر.

(٥) راجع الكشاف للزمخشري: جـ٤ صـ١٧٧/ دار المعرفة.

(٦) راجع تفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٣٩ ط دار الفكر.

يقال: للجوهر إذا تلألأ توهج، وكذلك يفيد البالغ في الحر منتهاه كما قال البعض ـ فيما سبق ـ.

يقال: حر النار والشمس، ويقال: توهجت النار: توقدت.

والوهاج أيضًا مجمع النور والحرارة، فبين الله تعالى أن الشمس بالغة إلى أقصى الغايات في هذين الوصفين وهو المراد بكونها وهاجًا كما قال الفخر الرازي في تفسيره(١).

وقال بعد ذكر الأوجه الثلاثة لكلمة ﴿ وَهَّاجًا ﴾ واعلم أن أي هذه الوجوه إذا ثبت فالمقصود حاصل.

إذًا: السر وراء مجيء هذه الفريدة ﴿ وَهَّاجًا ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ إفادتها الكمال في النور والحر معًا وصفًا ونعتًا للشمس والله أعلم.

الفريدة الثانية: ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ ووردت في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾(٢).

ودلالة تلك الفريدة عند أهل اللغة:

"ثج" **في مقاييس اللغة لابن فارس**(٣): الثاء والجيم أصل واحد، وهو صب الشيء. يقال: ثج الماء إذا صبه؛ وماء ثجاج أي: صباب قال الله تعالى:

---

(١) راجع تفسير الفخر الرازي ـــ مفاتيح الغيب مجلد: ١٦ جـ٣١ صـ٩ بتصرف ـــ ط: دار الفكر.

(٢) سورة النبأ: الآية ١٤ .

(٣) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، كتاب الثاء/ باب الكلام الذي أوله تاء في المضاعف والمطابق والأصم/ جـ١/ صـ٣٦٧ متوفي سنة ٣٩٥ تحقيق/ عبدالسلام محمد هارون ـــ ط دار الفكر لعام ١٩٧٩م / ١٣٩٩هـ.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾[١] ـ يقال: اكتظ الوادي شجيج الماء، إذا بلغ ضريريه. يقال ثج الماء، وأتى الوادي بثجيجه[٢]. وفي القاموس المحيط[٣]: ثج الماء: سال، وثجه أسأله والثج: سيلان دم الهدى، والثجة: الروضة فيها حياض ومساكات للماء، والثجيج: السيل. والثجيجة: زبدة اللبن تلزمه باليد والسقاء. والمِثَجَّ: كَمِنْبَر: الخطيب المفوه.

وإلى ذلك ذهب المفسرون فقال البقاعي في مناسبة هذه الآية لما قبلها: لما ذكر المولى عزوجل ما يمحق الرطوبة بحرارته، أتبعه ما يطفئ الحرارة برطوبته وبرودته فينشأ عنه المأكل والمشرب، التي بها تمام الحياة وبكون تولدها من الظرف بالمهاد والسقف، وجعل ذلك أشبه شيء بما يتولد بين الزوجين من الأولاد، فالسماء كالزواج والأرض كالمرأة، والماء كالمني، والنبات من النجم والشجر كالأولاد فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا ﴾ أي: مما يعجز غيرنا ﴿ مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾ أي: السحائب التي أثقلت بالماء فشارفت أن يعصرها الرياح فتمطر ـ أي: السحائب التي تتحلى بالمطر ولا تمطر ﴿ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ أي: فنصبا بكثرة تبع بعضه بعضًا، يقال: ثجه وثج بنفسه[٤].

وقال الفخر الرازي[٥]: في قوله: ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ اعلم أن الثج شدة الانصباب يقال: مطر ثجاج أي: شديد الانصباب.

---

(١) سورة النبأ: الآية ١٤ .
(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الثاء/ صـ٧٩ .
(٣) القاموس المحيط: نجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت٨١٧هـ تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ـــ ط: مؤسسة الرسالة بدون ـــ لبنان ـــ الطبعة الثامنة ـــ باب الجيم ـــ فصل الثاء ـــ جـ١/ صـ١٨٢ بتصرف.
(٤) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١ صـ١٩٨ ط: دار الكتاب الإسلامي القاهرة.
(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد ١٦/ جـ٣١/ صـ١٠ .

والثج قد يكون لازمًا، وهو بمعنى الانصباب، وقد يكون متعديًا بمعنى الصب٠

وقد فسروا الثجاج في هذه الآية على الوجهين: قال الكلبي ومقاتل وقتادة: الثجاج ههنا المتدفق المنصب. وقال الزجاج معناه الصباب كأنه يثج نفسه أي: يصب، وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به٠

وفي الكشاف وإرشاد العقل السليم[١]: ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ منصبًا بكثرة، وثجاجِا ومثاجج الماء: مصابه. قرأ به الأعرج بجيم ثم حاء مهملة٠

وبذلك قال الألوسي في تفسيره[٢] إلا أنه قال: اختير جعل ما في النظم الكريم من اللازم لأنه الأكثر في الاستعمال، وجعله الزجاج من المتعدي كأن الماء المنزل لكثرته يصب نفسه٠

وفي التحرير والتنوير[٣] الثجاج: المنصب بقوة وهو فعال من ثج القاصر إذا انصبت، يقال: ثج الماء، إذا انصب بقوة، فهو فعل قاصر. وقد يسند الثج إلى السحاب، يقال: ثج السحاب يثج إذا صب الماء فهو حينئذ فعل متعد. ووصف الماء هنا بالثجاج للامتنان٠

وقد بينت حكمة انزال المطر من السحاب بأن الله جعله لإنبات النبات من الأرض جمعًا بين الامتنان والإيمان إلى دليل تقريب البعث ليحصل اقرارهم بالبعث وشكر الصانع، وهو مع كونه منصبًا بقوة فهو على التتابع أي متتابعًا ـ كما قال القاسمي في محاسن التأويل[٤] وبذلك قال صديق خان في فتح البيان[١] وبين أن

(١) راجع الكشاف للزمخشري: جـ٤ صـ١٧٧/ ط دار المعرفة، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود: جـ٩ صـ٨٨ ط دار إحياء التراث العربي ـــ ط:المكتبة التجارية٠
(٢) راجع روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ١٧ ٠
(٣) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٢٦ ٠
(٤) راجع محاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ٣٠ ٠

الثجاج هو المنصب بكثرة على وجه التتابع، يقال ثج الماء أي: ساله بكثرة وثجه أي أساله فيكون لازمًا ومتعديًا، وبابه رد، ومطر ثجاج أي: منصب جدًا، وقال الزجاج: الثجاج الصباب، وقال ابن زيد ثجاجًا كثيرًا، وقال ابن عباس: منصبًا، وقيل: مدرارًا متتابعًا يتلو بعضه بعضًا، وقال ابن مسعود: الثجاج ينزل من السماء أمثال العزالي فتصرفه الرياح فينزل متفرقًا.

فتبين من ذلك أن ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ تفيد التدفق بقوة وشدة الانصباب إذا كان لازمًا، ويفيد الصب إذا كان متعديًا أي: كأن الماء المنزل لكثرته يصب نفسه، وهو مع شدة تدفقه وقوة انصبابه تتابع قطراته يتلوا بعضه بعضًا حتى يكثر الماء فيعظم النفع به إذ ينزل متفرقًا تصرفه الرياح فينبت الله به النبات من الأرض فوصف الماء بالثجاج للامتنان وشكر الصانع جل وعلا وأيضًا ليكون دليلاً على إمكان وقوع البعث إذ القادر على إحياء الأرض بعد موتها بانبات النبات منها مختلفًا ألوانه قادرًا على إحياء الموتى من القبور للحساب والجزاء.

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى، إذ جمعت بين التدفق بقوة وشدة الانصباب على وجه التتابع والله أعلم.

الفريدة الثالثة: ﴿ دِهَاقًا ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[٢] وقد اختلف اللغويون في المراد منها على أقوال عديدة ففي عمدة الحفاظ[٣] ﴿ دِهَاقًا ﴾ أي ملأى، يقال دهقت الكأس دهقًا ودهاقًا إذ ملأتها قاله الحسن، وقال مجاهد: متتابعا.

(١) راجع فتح البيان لصديق حسن خان: جـ١٥/ ٣٣ .
(٢) سورة النبأ: الآية ٣٤ .
(٣) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: جـ٢/ باب الدال/ فصل الدال والهاء/ صـ٢٨ .

وفي لسان العرب[1] من الأضداد، فدهق الماء وأدهقه: افرغه افراغًا شديدًا، وأدهق الكأس: شد ملأها، وكأس دهاق: ممتلئة مترعة، وفي التنزيل: ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا** ﴾، قيل: ملأى، وقيل: متتابعة على شاربيها من الدهق الذي هو متابعة الشد، وقيل: دهاقًا: صافية، والدهق خشبتان يغمز بهما الساق، وادهقت الحجارة أشد تلازبها ودخل بعضها في بعض مع كثرة.

وهذه الأقوال فسر بها المفسرون قوله تعالى: ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا** ﴾.

فمناسبة الآية لما قبلها أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد الأخيار وهو أمور منها قوله: ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا** ﴾: وفي الدهاق أقوال:

الأول: وهو قول أكثر أهل اللغة كأبي عبيدة والزجاج والكسائي والمبرد، ﴿ **دِهَاقًا** ﴾ ممتلئة، دعا ابن عباس غلامًا له فقال: اسقنا دهاقا، فجاء الغلام بها ملأى.

الثاني: ﴿ **دِهَاقًا** ﴾ أي متتابعة وهو قول أبي هريرة وسعيد ابن جبير ومجاهد، وقال الواحدي وأصل هذا القول من قول العرب أدهقت الحجارة إدهاقا وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض، والمتتابع كالمتداخل.

الثالث: يروى عن عكرمة أنه قال: ﴿ **دِهَاقًا** ﴾ أي: صافية، والدهاق على هذا القول يجوز أن يكون جمع داهق، وهو خشبتان بعصر بهما[2].

(١) راجع لسان العرب لابن منظور: حرف القاف/ فصل الدال المهملة/ جـ١٠/ ١٠٦، ١٠٧ بتصرف، والقاموس المحيط للفيروزآبادي: باب القاف/ فصل الدال/ جـ١/ صـ٨٨٤ .
(٢) راجع مفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد ١٦/ جـ٣١ صـ٢١ .

وقال بذلك الألوسي والسيوطي وابن كثير والبغوي والشوكاني وصديق خان عند تفسيرهم بقوله: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ أي "ممتلئة متتابعة صافية"(١) واقتصر بعضهم على تفسير ﴿ دِهَاقًا ﴾ بملأى أي: الممتلئة المتتابعة(٢).

واقتصر بعض المفسرين على تفسير ﴿ دِهَاقًا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ أي ملأى(٣).

و﴿ دِهَاقًا ﴾ اسم مصدر دهق من باب جعل أو اسم مصدر أدهق، ولكونه في الأصل مصدرًا لم يقترن بعلاقة تأنيث، ووصف الكأس بالدهق من إطلاق المصدر على المفعول ومركب "كأس دهاق" يجري مجرى المثل(٤).

فتبين من ذلك أن ﴿ دِهَاقًا ﴾ تفيد وصف الكأس ممتلئة متتابعة صافية. إذ الدال والهاء والقاف يدل على امتلاء في مجيء وذهاب واضطراب(٥).

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ دِهَاقًا ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ جمعت بين الامتلاء والمتابعة والصفاء للكأس على جهة الوعد للأخيار من الحنان المنان جل جلاله والله أعلم.

(١) راجع روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ٣١، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: جـ٨/ صـ٣٩٨، ٣٩٩ ط دار الكتب ـــ بيروت، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: جـ٨/ صـ٣٠٨ ط دار طيبة، ومعالم التنزيل للبغوي: جـ٥/ صـ٢٠٢ ط دار إحياء التراث العربي، وفتح القدير للشوكاني جـ٥/ صـ٥٢٥، وفتح البيان لصديق خان:

(٢) راجع فتح البيان لصديق خان جـ١٥/ صـ٤٢، والبحر المحيط لأبي حيان جـ١٠ صـ٣٨٩ ط دار الفكر.

(٣) راجع تفسير البيضاوي جـ٥/ صـ٤٤٣، ومحاسن التأويل للقاسمي مجلد١٠/جـ١٧/ صـ٣٥، والتحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/جـ٣٠/صـ٤٥، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب للجوزي: جـ١/٤٣٥/ط دار الكتب العلمية.

(٤) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٤٥ .

(٥) راجع مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الدال/ باب الدال والهاء والقاف جـ٢ صـ٣٠٧ .

المبحث الثاني

أسرار التعبير بالفرائد القرآنية في سورة النازعات

سميت هذه السورة في المصاحف وأكثر التفاسير "سورة النازعات" بإضافة سورة إلى النازعات بدون واو، جعل لفظ "النازعات" علما عليها لأنه لم يذكر في غيرها وعنونت في كتاب التفسير من صحيح البخاري وفي كثير من كتب المفسرين بسورة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها.

وقال سعدالدين الشهير بسعدي والخفاجي: إنها تسمى "سورة الساهرة" لوقوع لفظ "الساهرة" في أثنائها ولم يقع في غيرها من السورة.

وقالا: تسمى سورة الطامة لوقوع لفظ الطامة فيها ولم يقع في غيرها.

ولم يذكرها في الإتقان في عداد السور التي لها أكثر من اسم.

وهي مكية بالاتفاق.

وعدد آيها خمس وأربعون عند الجمهور، وعدها أهل الكوفة ستا وأربعين آية[1].

وباستقراء السورة الكريمة وجدتها قد اشتملت على ست فرائد لم تتكرر مطلقًا مادة وصيغة، هي على ترتيب دراستها: [﴿نَّخِرَةً﴾، ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾، ﴿سَمْكَهَا﴾، ﴿وَأَغْطَشَ﴾، ﴿دَحَىٰهَآ﴾، ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾.

وسوف نركز على دراسة تلك الفرائد ولن نتعرض للألفاظ التي تجاورها في الآيات إلا بقدر ما يقتضيه سياق البحث والدراسة.

(١) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠/ صـ٥٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: جـ١٩/ صـ١٩٠، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ـــ جـ١/ صـ٤٠، ٤١.

فنبدأ وبالله التوفيق:

الفريدة الأولى: ﴿ نَّخِرَةً ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾[1] والسر وراء مجيء الفريدة ﴿ نَّخِرَةً ﴾ مرة واحدة لم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ وقبل بيان ذلك نعرج على ما ورد لدى أهل اللغة والتفسير حول معنى هذه اللفظة.

يقول السمين الحلبي في عمدة الحفاظ[2]: قوله تعالى: ﴿كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾[3] أي: بالية من قولهم: نخرت الشجرة، أي بليت حتى سمع فيها نخير الريح، أي: صوتها. يقال نخر ينخر نخرًا ونخيرًا، فهو نخر، أي بلى ورم.

وقيل: ناخرة بمعنى فارغة، يجيء منها عند هبوب الريح، والنخير صوت من الأنف، والناخر: الناقة التي لا تدر، والناخرة أيضًا: جماعة الخيل".

وبذلك قال الراغب الأصفهاني[4] والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز[5]، وابن منظور في لسان العرب[6] والفيروزآبادي في القاموس المحيط[7].

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

---

(١) سورة النازعات: الآية ١١ .
(٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب النون/فصل النون والخاء/جـ٤/ صـ١٥٣، ١٥٤ بتصرف ـــ ط دار الكتب العلمية.
(٣) سورة النازعات : الآية ١١ .
(٤) راجع مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب النون/ صـ٤٨٦ .
(٥) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: بصيرة في نخر ونخل وندم/ جـ٥/ صـ٣٠ ط: المكتبة العلمية.
(٦) لسان العرب لابن منظور: حرف الراء/ فصل النون/ جـ٥/ صـ١٩٧، ١٩٨ بتصرف.
(٧) القاموس المحيط للفيروزآبادي: باب الراء/ فصل النون/ جـ١/ ٤٨٠ .

يقول البقاعي في مناسبة الآية لما قبلها(١): ولما وصف الله تعالى قلوبهم في الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿ **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ** ﴾ أي مضطربة من الخوف بسبب انكارهم البعث أتبعه التضريح بتكريرهم له على وجه مشير إلى العلة الحاملة لهم على قوله وهو قولهم: ﴿ **أَءِذَا كُنَّا** ﴾ أي: كونا صار جبلة لنا ﴿ **عِظَٰمًا نَّخِرَةً** ﴾ أي: هي في غاية الانتخار حتى تفتتت فكان الانتخار وهو البلى والتفتت والتمزق كأنه طبع لها طبعت عليه، وهي أصلب البدن فكيف بما عداها من الجسم، وعلى قراءة "ناخرة" أي: أنها خلا ما فيها فصار الهوان ينخر فيها أي يصوت.

ويقول ابن الجوزي(٢):﴿ **أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً** ﴾ أي فارغة يجيء فيها من هبوب الريح كالنخير والمراد: أنهم أنكروا البعث وقالوا: نرد أحياء إذا متنا وبليت عظامنا.

وفي فتح البيان(٣) **قوله:** ﴿ **أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً** ﴾ أي بالية متفتتة وقيل: الناخرة التي لم تنخر بعد أي: لم تبل ولابد أن تنخر، وقيل: الناخرة التي أكلت أطرافها وبقيت أوساطها، والنخرة التي فسدت كلها، والنخرة المرقوتة، وقيل: الناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي: تصوت.

وقال البيضاوى(٤) : ناخرة أي بالية، وقال القاسمي(٥):﴿ **نَّخِرَةً** ﴾ أي: بالية وقرئ ناخرة من (نخر العظم) بلي، فصار يمر به الريح فيسمع له نخير.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١ صـ٢٢٥ بتصرف.
(٢) زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت٥٩٧هـ، المحقق عبدالرزاق المهدي ـــ جـ٤ صـ٣٩٥ ط: دار الكتاب العربي ـــ بيروت.
(٣) راجع فتح البيان لصديق خان: جـ١٥/ صـ٥٨ باختصار.
(٤) تفسير البيضاوي: جـ٥ صـ٤٤٦ .
(٥) محاسن التأويل للقاسمي: مجلد ١٠/ جـ١٧/ صـ٤٣ .

فالنون والخاء والراء أصل صحيح يدل على صوت من الأصوات ثم يفرع منه[١].

فتبين من ذلك أن ﴿ نَّخِرَةً ﴾ تفيد كون العظام بالية متفتتة أو كونها من شدة تفتته صار أجوف تمر به الريح وهذه الفريدة هي الأليق والأنسب بهذا السياق وذلك تأكيدًا لإنكار البعث بذكر حالة منافية له، أي: أإذا كنا عظامًا بالية نرد ونبعث مع كونه أبعد شيء من الحياة[٢] فهذه الحالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت[٣].

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ نَّخِرَةً ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت أن العظام بالية ومتفتتة وجوفاء تمر بها الرياح فناسب سياق الآية في تأكيد إنكارهم للبعث بذكر حالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت ـ على حد زعمهم ـ والله أعلم.

الفريدة الثانية: ﴿ بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ** ﴾[٤].

والسر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ وقبل بيان ذلك نعرج على ما ورد لدى أهل اللغة والتفسير حول معنى هذه اللفظة.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب النون/ باب النون والخاء وما يثلثهما، جـ٥ صـ٤٠٥ .
(٢) راجع روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ٤٨ .
(٣) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور / مجلد١٥ جـ٣٠/ صـ٧١ .
(٤) سورة النازعات: الآية ١٤ .

يقول الراغب الأصفهاني[١]: الساهرة قيل: وجه الأرض، وقيل: هي أرض القيامة وحقيقتها: التي يكثر الوطء بها، فكأنها سهرت بذلك، وبذلك قال السمين الحلبي[٢].

وأضاف: أنها أرض بيضاء لم يعص الله عليها. وقيل: الأرض المستوية، وقيل: وجه الأرض.

وفي بصائر ذوي التمييز[٣] إضافة إلى ذلك: أنها أرض بيت المقدس.

وفي القاموس المحيط[٤]: الساهرة: الأرض، أو وجهها، والعين الجارية، والفلاة، وأرض لم توطأ، أو أرض يجددها الله تعالى يوم القيامة، وجبل بالقدس وجهنم، وأرض الشام.

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

يقول البقاعي في مناسبة الآية لما قبلها وتفسيرها: ﴿ **فَإِذَا هُم** ﴾ أي: فتسبب عن هذه النفخة ـ وهي الثانية أنهم فوجئوا بغاية السرعة كونهم أحياء قائمين ﴿ **بِٱلسَّاهِرَةِ** ﴾ أي: على ظهر الأرض البيضاء المستوية الواسعة التي يجددها الله للحساب والجزاء فتكون سعتها كأنها قد ابتلعتهم على كثرتهم التي تفوت العد، وتزيد على الحد، سميت بذلك لأن الشراب يجري فيها من الساهرة وهي العين الجارية، أو لأن سالكها يسهر خوفًا كما أن النوم يكون آمنة، أو لأن هذه الأرض بالخصوص

(١) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب السين/ صـ٢٤٥/ جـ٢ .
(٢) راجع عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: كتاب السين/ فصل السين والهاء/ صـ٢٢٩ .
(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: بصيرة في سنم وسناوسنه وسهر وسهل وسهم وسهو صـ٢٦٩ .
(٤) راجع القاموس المحيط للفيروزآبادي: باب الراء/ فصل السين/ جـ١/ ٤١٢ .

لا نوم فيها مع طول الوقوف وتغلب الصروف الموجبة للخوف" وبذلك قال غيره من المفسرين[١].

وأضاف صديق خان[٢] قول قتادة بأن "الساهرة" (هي جهنم أي: فإذا هؤلاء الكفار في جهنم وإنما قيل لها ساهرة لأنهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم)، وبجميع هذه المعاني لتلك الفريدة قال الشوكاني والألوسي وأبوحيان[٣].

فتبين من ذلك أن "الساهرة" هي الأرض المستوية البيضاء وسميت بذلك لأن سالكها لا ينام خوفًا منها أو لأن السراب يجري فيها من قولهم: عين ساهرة جارية الماء ، أو لأن من شدة الخوف فيها لا ينام ويتحقق ذلك في تلك الأرض التي يجتمع فيها الكفار في موقف القيامة يكونون فيها في أشد الخوف فسميت ساهرة لهذا السبب سواء كانت أرض الدنيا أم أرض الآخرة لأنهم عند الزجرة والصيحة ينقلون أفواجًا إلى أرض الآخرة فأريد بالساهرة أرض يجعلها الله لجمع الناس للحشر، أو أرض جهنم والعياذ بالله فهم فيها لا ينامون لاستمرار عذابهم.

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ **بِٱلسَّاهِرَةِ** ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت الأرض المستوية البيضاء التي لا ينام ساكنها خوفًا منها أو لأن السراب يجري فيها أو لا ينام من شدة الخوف فيها سواء أرض الدنيا أم أرض يجعلها الله لجميع الناس للحشر أو أرض جهنم فهم من شدة العذاب واستمراره لا ينامون والعياذ بالله، فتلك الفريدة تحتمل كل

(١) راجع نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٢٧، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٣٨، ٣٩، والتحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ ٧٣ .

(٢) فتح البيان لصديق خان جـ١٥/ صـ٥٩، ومحاسن التأويل للقاسمي مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ٤٣ ، وتفسير البيضاوي جـ٥ صـ٤٤٧ .

(٣) راجع فتح القدير للشوكاني: جـ٥/ صـ٥٣٤، وروح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ٤٩، والبحر المحيط لأبي حيان: جـ١٠/ صـ٣٩٧، ٣٩٨ .

هذه المعاني دون غيرها، فناسب سياق الآية في ذكر النفخة الثانية التي تسبب عنها أنهم فوجئوا بغاية السرعة أنهم بالساهرة ـ والله أعلم.

الفريدة الثالثة: ﴿ **سَمْكَهَا** ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ **رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا** ﴾[1].

والسر وراء مجيء تلك الفريدة مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى وقبل بيان ذلك نعرج على ما ورد لدى أهل اللغة والتفسير حول معنى هذه اللفظة.

فيقول السمين الحلبي[2] سمكت البيت: رفعته. وقيل للسماوات مسموكات لارتفاعها، وقال بذلك أيضًا: الراغب الأصفهاني[3] والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز[4] والجوهري[5] في الصحاح ، وابن منظور في لسان العرب[6].

والسين والميم والكاف أصل واحد يدل على العلو. يقال: سمك إذا ارتفع، والمسموكات السماوات[7].

وقال المفسرون بما قاله اللغويون في حديثهم عن تلك الفريدة بشيء من التفصيل.

---

(١) سورة النازعات: الآية ٢٨ .

(٢) راجع عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب السين/ فصل السين والميم/ جـ٢ صـ٢٢٢، ط دار الكتب العلمية.

(٣) راجع مفردات غريب القرآن للأصفهاني: كتاب السين/ صـ٢٤٣ .

(٤) راجع بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: بصيرة في سمك وسمن / صـ٢٦١ .

(٥) راجع الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي، المتوفى (٣٩٣) تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط دار العلم للملايين ـــ بيروت/ باب الكاف، فصل السين/ جـ٤/ صـ١٥٩٢ .

(٦) راجع لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري حرف الكاف/ فصل السين المهملة/ جـ١٠/ صـ٤٤٤ ـــ ط دار صادر ـــ بيروت ـــ الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

(٧) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب السين ـــ باب السين والميم وما يثلثهما جـ٣/ صـ١٠٢ .

فقال البقاعي[١] **في مناسبتها لما قبلها:** لما ختم الله تعالى قصة فرعون ـ لفته الله عليه ـ بالعبرة وكان أعظم عبرتها القدرة التامة لاسيما على البعث كما هي مشيرة إليه بأولها وآخرها، والعقوبة على التكذيب فيه لأن التكذيب به يجمع مجامع الشر، والتصديق به يجمع مجامع الخبر وكانوا يستبعدونه لاستبعاد القدرة عليه، وصل به ما هو كالنتيجة منه، فقال مقررا مخاطبًا لأصحاب الشبهة الشاكين موقفًا لها على القدرة منكرا عليهم استبعادهم وذلك ملتفتا بعد تخصيص الخطاب به ﷺ إلى عموم الخطاب ليوضح هذا البرهان لكل إنسان استعطافا بهم وتوبيخًا: فقال ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾[٢] ولما كان الجواب قطعًا: ﴿ ٱلسَّمَآءُۚ ﴾ لما يرى من أعظمها لأن العالم الإنساني مختصر العالم الآفاقي، ويزيد الآفاقي طول البقاء مع عدم التأثر، وصل به قوله دليلاً على قدرته على البعث لقدرته على ما هو أشد منه لأن الذي قدر على ابتداء الأكبر هو على إعادة الأصغر أقدر، مبينا لكيفية خلقه لها: بقوله ﴿ بَنَىٰهَا ﴾[٣] أي: جعلها سقفًا للأرض على ما لها من العظمة ثم بين البناء بقوله: ﴿ رَفَعَ سَمۡكَهَا..... ﴾ الآية.

فقال الألوسي[٤]: ﴿ رَفَعَ سَمۡكَهَا ﴾ بيان للبناء الوارد في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾[٥] فالخطاب فيها لمنكري البعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة لقدرة الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾[٦] ونصب خلقًا على التمييز، أي: أخلقكم بعد موتكم ﴿ أَشَدُّ ﴾، أي: أشق وأصعب في تقديركم ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ ﴾ أي: أم خلق السماء

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٣٨، ٢٣٩ بتصرف.
(٢) سورة النازعات: الآية ٢٧ .
(٣) سورة النازعات: الآية ٢٧ .
(٤) روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٥٤ .
(٥) سورة النازعات: الآية ٢٧ .
(٦) سورة الصافات: الآية ٨٩، وسورة النازعات: الآية ١٣ .

على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها ﴿ بَنَاهَا ﴾ بيان وتفصيل الكيفية خلقها وقوله: ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ بيان للبناء أي: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو حديدًا رفيعًا، فالمراد برفع سمكها شدة علوها ورفع أجرامها فوق رؤوسنا، وبذلك قال القاسمي والبيضاوي والفخر الرازي[1] .

ويقول ابن عاشور في التحرير والتنوير[2]: الرفع: جعل جسم مصليا وهو مرادف للسمك فتعدية فعل "رفع" إلى "السمك" للمبالغة في الرفع، أي رفع رفعها أي جعله رفيعًا، والتسوية: التعديل وعدم التفاوت، والفاء في ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ للتعقيب أي تسوية السماء حصلت مع حصول سمكها.

وفي روح المعاني[3]:﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ أي: جعلها سواء فيما اقتضت الحكمة، فلم يخل عزوجل قطعة منها عما تقتضيه الحكمة فيها، ومن ذلك تزيينها بالكواكب، وقيل: تسويتها جعلها ملساء ليس في سطحها انخفاض وارتفاع، وقيل: جعلها بسيطة متشابهة الأجزاء والشكل، وقيل: تسويتها تتميمها بما يتم به كمالها من الكواكب والمتممات والتداوير وغيرها.

فتبين من ذلك أن ﴿ سَمْكَهَا ﴾ أفادت شدة علوها ورفع أجرامها فوق رؤوسنا، والرفع مرادف للسمك وتعدية فعل رفع إلى السماء للمبالغة في الرفع أي رفع رفعها أي جعله رفيعًا.

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ سَمْكَهَا ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت شدة علو السماء ورفع

(١) محاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ٣٧/ صـ٤٨، وتفسير البيضاوي: جـ٤٤٨/٥ .
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٨٥ .
(٣) راجع روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٥٤، ٥٥ .

أجرامها مما يتناسب مع سياق النظم الكريم للآيات السابقة إذ الخطاب فيها لمنكري البعث بناء على صعوبته في زعمهم فخاطبهم بقوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ..... ﴾ توبيخًا وتبكيتًا لهم أأنتم أشد وأصعب في تقديركم أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على بدائع تحار العقول في ادراكها.

فالقادر على خلق السماء ورفع سمكها قادر على إحياء الموتى من قبورهم للحساب والجزاء.

الفريدة الرابعة: ﴿ وَأَغْطَشَ ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾[1].

وقبل بيان السر وراء مجيء تلك الفريدة مرة واحدة ولم تتكرر على اي صورة أو صيغة من الصيغ نعرض ما ورد عند أهل اللغة والتفسير حول معنى هذه اللفظة.

فقال الراغب الأصفهاني[2] **قوله تعالى:** ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أي جعله مظلمًا وأصله من الأغطش وهو الذي في عينه شبه غمش، ومنه قيل: فلاه عطشى: لا يهتدي فيها، والتعاطش: التعامي، وأظلم يكون متعديًا ولازمًا[3]: أي أغطش الله سبحانه الليل أي: أظلمه وأغطش الليل أيضًا بنفسه[4].

وفي لسان العرب: ليل أغطش وقد أغطش الليل بنفسه، وأغطشه الله أي أظلمه، وغطش الليل فهو غاطش أي: مظلم، وأغطش ليلها: أي: أظلم ليلها[5].

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

---

(١) سورة النازعات: الآية ٢٩ .
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الغين/ صـ٣٦٢ .
(٣) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: كتاب الغين/ فصل الغين والطاء/ جـ٣/ صـ١٦٦ .
(٤) راجع الصحاح للجوهري: باب الشين/ فصل الغين جـ٣/ ١٠١٣ .
(٥) لسان العرب لابن منظور: حرف الشين المعجمة/ فصل الغين المعجمة/ جـ٦/ صـ٣٣٤ .

فقال البقاعي[١] **في مناسبتها لما قبلها:** فالآيات السابقة ورد فيها ما يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو أشد من خلق الآدمي من عدم أتبعه ما يتصور به البعث في كل يوم مرتين فقال: ﴿ **وَأَغْطَشَ** ﴾ أي: أظلم إظلامًا لا يهتدي معه إلى ما كان في حال الضياء ﴿ **لَيْلَهَا** ﴾ أي بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه، وأضافه إليها لأنه يحدث بحركتها وبدأ به لأنه كان أولاً، والعدم قبل الوجود٠

يقول الفخر الرازي[٢]: قوله تعالى: ﴿ **وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا** ﴾ أغطش قد يجيء لازمًا، يقال أغطش الليل إذا صار مظلمًا، ويجيء متعديًا يقال أغطشه الله إذا جعله مظلمًا، والغطش الظلمة، والأغطش شبه الأعمش ثم ههنا سؤال وهو أن الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس، فقوله ﴿ **وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا** ﴾ يرجع معناه إلى أنه جعل المظلم مظلمًا، وهو بعيد والجواب معناه أن الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان إنما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا إشكال٠

وأضاف الليل إلى السماء لأنه يحدث بسبب غروب الشمس وغروبها يحصل بسبب حركة الفلك فهذا السبب أضاف الليل إلى السماء٠

وقال بذلك أيضًا الألوسي[٣]، وابن عاشور[٤]، والقاسمي والبيضاوي وكذلك في البحر المحيط لأبي حيان٠

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٣٩ بتصرف٠
(٢) راجع مفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ٤٨ ٠
(٣) روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٥٥ ٠
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ٨٥، ومحاسن التأويل للقاسمي مجلد ١٠/ جـ١٧/ صـ٤٨، وتفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٤٨، والبحر المحيط لأبي حيان جـ١٠/ صـ٤٠٠ ٠

فتبين من ذلك أن ﴿ وَأَغْطَشَ ﴾ أي تلك الفريدة أفادت الإظلام الذي لا يهتدي معه إلى ما كان في حال الضياء أي أظلم ليلها فغمر الليل بالظلمة وغمرهم سواد الليل وذلك مما يتناسب مع سياق النظم الكريم للآيات السابقة إذ الخطاب في الآيات السابقة كان لمنكري البعث بناء على صعوبته في زعمهم فوبخهم وبكتهم ببيان مدى قدرته جل وعلا على خلق السموات وأن القادر على خلق السموات على عظمها ورفع سمكها وإغطاش وإظلام ليلها قادر على إحياء الموتى من قبورهم للحساب والجزاء.

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ وَأَغْطَشَ ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت إظلام الليل إظلامًا لا يهتدي معه إلى ما كان في حال الضياء وذلك بغياب شمسها، فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه[1] وكذلك هذه الفريدة تناسبت مع سياق النظم الكريم، فالقادر على إظلام الليل في كل يوم وليلة مرتين قادر على إحياء الموتى من قبورهم للحساب والجزاء، وكذلك فإن الغين والطاء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ظلمة وما أشبهها[2].

الفريدة الخامسة: قوله تعالى: ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[3].

وهي عند علماء اللغة بمعنى البسط، والإزالة عن مقرها.

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١ صـ٢٣٩.
(٢) راجع مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الغين/ باب الغين والشين وما يثلثهما ـــ جـ٤/ صـ٤٢٩، ٤٣٠.
(٣) سورة النازعات: الآية ٣٠.

قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط[١] ودحا الله الأرض يدحوها ويدحاها دحوا: بسطها (والدحو: البسط يقال دحا يدحو ويدحي أي بسط ووسع ـ كما في لسان العرب[٢].

ويقول الراغب الأصفهاني[٣]: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ أي: أزالها عن مقرها، وهو من قولهم: دحا المطر الحصى عن وجه الأرض، أي: جرفها، ومر الفرس يدحو دحوا: إذا حريده على وجه الأرض فيدحو ترابها.

وكذلك في الصحاح للجوهري[٤]: فيقول: دحوت الشيء دحوًا: بسطته، ودحا المطر الحصى عن وجه الأرض، ويقال للاعب بالجوز: أبعد المدى وأدحه، أي ارمه، ومدحى النعامة: موضع بيضها.

وقال المفسرون بما قال به اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

فقال البقاعي في مناسبة هذه الآية لما قبلها[٥]: لما بدأ سبحانه بدلالة العالم العلوي لأنه أدل لما فيه من العجائب والمنافع مع كونه أشرف فذكر أنه أتقن السماء التي هي كالذكر، ثنى بأنه سوى ما هي لها كالأنثى فقال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ ﴾ ولما كان المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو، حذف الخافض فقال: ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي المذكور كله ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ أي: بسطها ومدها للسكني وبقية المنافع بعد أن كان خلقها وأوجدها قبل إيجاد السماء غير مسواة بالفعل ولا مدحوة.

وبذلك قال الألوسي والشوكاني والبيضاوي والقاسمي وأبوحيان وابن عاشور.

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي: باب الواو والياء/ فصل الدال/ جـ١/ ١٢٨١ .
(٢) لسان العرب لابن منظور: باب الواو والياء من المعتل/ فصل الدال المهملة/ جـ١٤/ ٢٥١ .
(٣) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الدال/ صـ١٦٥ .
(٤) راجع الصحاح للجوهري: باب الواو والياء/ فصل الدال/ جـ٦/ صـ٢٣٣٤، ٢٣٣٥ .
(٥) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٤٠ .

وبين ابن عاشور السر في تقديم الأرض على فعله وفاعله وهو لأجل الاهتمام بدلالة خلق الأرض وما تحتوي عليه وانتصب على طريقة الاشتغال، والإشارة من قوله ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ إلى ما يفهم من ﴿ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ أي بعد أن خلق السماء خلق الأرض مدحوة والبعدية ظاهرها: تأخر زمان حصول الفعل.

ويجوز أن تكون البعدية مجازًا في نزول رتبة ما أضيف إليه ﴿ بَعْدَ ﴾ عن رتبة ما ذكر قبله..[1].

والفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب[2] وافق أيضًا أهل اللغة في دلالة تلك الفريدة ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ على البسط والإزالة والتمهيد وبين أن ظاهر الآية يقتضي كون الأرض بعد السماء، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3] يقتضي كون السماء بعد الأرض، ورفع هذا الإشكال هو: أن الله تعالى خلق الأرض أولاً غير مدحوة ثم خلق السماء ثانيًا ثم دحى الأرض أي بسطها ومهدها للعيش عليها، ويجوز أن يكون قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي مع ذلك.

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ إذ أفادت البسط والتمهيد للعيش عليها وهذا يتلاءم ويتناسق مع نظم الآيات إذ هي في موضع الاستدلال بإمكانية البعث وأن القادر على بسط الأرض وتمهيدها للعيش عليها بشق أنهارها وبحارها ومحيطاتها

---

(١) راجع روح المعاني للألوسي مجلد ١٦/ جـ٣٠/ صـ٥٦، وفتح القدير للشوكاني: جـ٥/ صـ٥٣٩، وتفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٤٨، ومحاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ٤٨، والبحر المحيط لأبي حيان جـ١٠/ صـ٤٠٠، والتحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠/ صـ٨٦، ٨٧ .

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد ١٦/ جـ٣١/ صـ٤٨، ٤٩ بتصرف.

(٣) سورة فصلت: الآية ١١ .

وإخراج المرعى والنبات منها قادر على إحياء الناس من قبورهم للحساب والجزاء والله أعلم.

الفريدة السادسة: وهي قوله: ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾[1].

وتلك الفريدة عند علماء اللغة تدور حول العلو والغلبة.

يقول ابن فارس في مقاييس اللغة[2]: الطاء والميم أصل صحيح يدل على تغطية الشيء للشيء حتى يسويه بالأرض أو غيرها، ومن ذلك قولهم: طم البئر بالتراب: ملأها وسواها، ومن ذلك قولهم: طم الأمر إذا علا وغلب، ولذلك سميت القيامة الطامة.

وكذلك في القاموس المحيط[3]: الطامة: القيامة والداهية تغلب ما سواها، وفي بصائر ذوي التمييز[4]: طم الشيء، كثر وعلا، وغلب وسميت القيامة طامة لذلك وكذلك في مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني[5].

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة .

يقول البقاعي في مناسبة هذه الآية لما قبلها[6]: لما ذكر ما دل على البعث أتبعه ما يكون عن البعث مسببًا عنه دلالة على أن الوجود ما خلق إلا لأجل البعث لأنه محط الحكمة ﴿فَإِذَا جَآءَتِ﴾ أي: بعد الموت ﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ أي:

---

(١) سورة النازعات: الآية ٣٤ .
(٢) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الطاء/ باب الطاء في المضاعف والمطابق/ جـ٣/ صـ٤٠٦
(٣) راجع القاموس المحيط للفيروزآبادي: باب الميم/ فصل الطاء/ جـ١/ ١١٣٣ .
(٤) راجع بصائر ذو التمييز للفيروزآبادي: بصيرة في خلق وطم وطمث وطمس صـ٥١٤ .
(٥) مفردات غريب القرآن للأصفهاني: كتاب الطاء/ صـ٣٠٦ .
(٦) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٤١ وتفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٤٩، والبحر المحيط لأبي حيان: جـ١/ صـ٤٠١، وروح المعاني للألوسي: مجلد ١٦/ جـ٣٠/ صـ٦١، ومحاسن التأويل للقاسمي: مجلد ١٠/ جـ١٧/ صـ٤٩ .

الداهية الدهياء التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي وتغطيها فتكون أكبر داهية توجد، وهي البعث بالنفخة الثانية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، والعامل في إذا محذوف تقديره فصل الناس إلى شقي وسعيد.

و﴿ ٱلطَّآمَّةُ ﴾ هي الداهية التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي ﴿ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ التي هي أكبر الطامات وهي القيامة، أو النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وبذلك قال البيضاوي وأبوحيان، والألوسي وغيرهم، وأضاف الألوسي أن الفاء في قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها على ما قيل، والطامة أعظم الدواهي، لأنه من طم بمعنى علا، ووصفها بالكبرى للتأكيد، ولو فسر كونها طامة بكونها غالبة للخلائق لا يقدرون على دفعها لكان الوصف مخصصًا، وقيل: كونها طامة باعتبار أنها تغلب وتفوق ما عرفوه من دواهي الدنيا، وكونها كبرى باعتبار أنها أعظم من جميع الدواهي مطلقًا[1] والتعبير بالفعل الماضي بعد "إذا" في قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ﴾ يفيد تحقيق الوقوع والمجيء مجاز في الحصول والوقوع[2].

واستعملت الطامة هنا في هذه السورة لأن فيها ذكر ما أوتي به فرعون من الطامة الكبرى في الكفر حيث قال ﴿ .....أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فهذه في الكبائر كشديدة الآخرة في الشدائد فكأنه وكن إلى ذكر الكبيرة الموفية على أمثالها ذكر الطامة الكبرى وأهوالها[3].

فتبين من ذلك أن ﴿ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ الداهية الكبرى التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي وتغطيها سواء أكان المراد بها يوم القيامة إذ يشاهد فيه من المواقف

(١) راجع روح المعاني للألوسي: مجلد ١٦/ جـ٣/ صـ٦١ .
(٢) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠/ صـ٩٠ .
(٣) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي: جـ١/ صـ١٣٣٢ ط جامعة أم القرى.

والأهوال والآيات الباهرة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل، أو يراد بها النفخة الثانية التي عندها تحشر الخلائق إلى موقف القيامة، أو يراد بها وقت تذكر الإنسان ما سعى ورؤية أعماله مدونة في كتابه وتذكرها بعد أن نسيها، ويحتمل أن يراد بها الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار[1]، ولا مانع من إرادة تلك المعاني فكلها يطلق عليها يوم القيامة.

وبالتالي يتبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ ٱلطَّآمَّةُ ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت العلو والغلبة بمعنى أنها تفوق أمثالها من نوعها فتفيد الشدة والهول فهي داهية تعلو سائر الدواهي الكبرى أي العظمى التي تطم على سائر الطامات ـ فناسب ذلك سياق الآيات ونظمها إذ هذه الآية ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم، وفريدة ﴿ ٱلطَّآمَّةُ ﴾ موافقة لما قبله من داهية فرعون وهي قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2]ووصفها بالكبرى موافقة لقوله تعالى: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[3] وأيضًا سورة النازعات على الجملة أشد في التخويف والترهيب فناسبها أبلغ العبارتين من أسماء القيامة في التخويف ـ الإنذار﴿ ٱلطَّآمَّةُ ﴾ بخلاف سورة "عبس" فهي ليست بسورة النازعات في التخويف والترهيب فناسبها إيراد اسم القيامة بالصاخة إذ ليس في الإرهاب كالطامة[4]، والله أعلم.

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ٥١ .
(٢) سورة النازعات: الآية ٢٤ .
(٣) سورة النازعات: الآية ٢٠ .
(٤) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ به في آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، جـ٢/ صـ٥٠٢ ط: دار الكتب العلمية.

المبحث الثالث

أسرار التعبير بالفرائد القرآنية في سورة عبس

سميت هذه السورة "سورة عبس" وتسمى سورة الصاخة وسورة السفرة، وسميت في غير كتاب سورة الأعمى.

ولم يذكرها صاحب الإتقان في السور التي لها أكثر من اسم وهو "عبس" وهي مكية بالاتفاق.

وعدد آيها عند العادين من أهل المدينة وأهل مكة وأهل الكوفة اثنتان وأربعون، وعند أهل البصرة إحدى وأربعون وعند أهل الشام أربعون، وهي أول السور من أواسط المفصل[1].

وباستقراء السورة الكريمة وجدتها قد اشتملت على ثلاث فرائد لم تتكرر مطلقًا مادة وصيغة، وهي على ترتيب دراستها [وقضبا، وأبا الصاخة].

وسوف نركز على دراسة تلك الفرائد ولن نتعرض للألفاظ التي تجاورها في الآيات إلا بقدر ما يقتضيه سياق البحث والدراسة.

فنبدأ وبالله التوفيق:

الفريدة الأولى: ﴿وَقَضْبًا﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾[2]:

وتلك الفريدة عند علماء اللغة تدور حول القطع.

ففي مختار الصحاح وغيره[1] **(قضبه)** أي قطعه، والقطبة: الرطبة، والموضع التي تنبت فيه مقضبة، وقضبت الكرم تقضيبا إذا قطعت أغصانه.

---

(١) راجع روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٦٨، والتحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠/ صـ١٠١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٩/ صـ٢١١، والإتقان في علوم القرآن جـ١/ صـ٤٠ .

(٢) سورة عبس: الآية ٢٨ .

وزاد ابن منظور في لسان العرب: والقطب اسم يقع على ما قضبت من أغصان لتتخذ منه سهامًا أو قسيا، والقضب كل شجر سبقت أغصانه وطالت، والقضب ما أكل من النبات المقتضب غصبا، وقيل هو الفصافص، وقيل القضب: شجر سهلي ينبت في مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى إلا أنه أرق وأنعم، وشجره كشجره، وترعى الإبل ورقه وأطرافه، فإذا شبع منه البعير هجره[٢].

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

فيقول البقاعي في نظم الدرر[٣] في مناسبة قوله ﴿ **وَعِنَبًا وَقَضْبًا** ﴾ لما قبلها لما كان الحب قوتًا فبدأ به في قوله تعالى: ﴿ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** ﴾ لأنه الأصل في القوام، عطف عليه ما هو فاكهة وقوت فقال: ﴿ **وَعِنَبًا** ﴾ هو فاكهة في حال عنبيته وقوت باتخاذه زبيبا ودبسا وخلا، ولما كان لذلك في بيان عجائب الصنع ليدل على القدرة على كل شيء فيدل على القدرة على البعث فذكر ما إن أخذ من منبته قبل بلوغه فسد، وإن ترك اشتد وصلح للادخار، واتبعه ما إن ترك على أصله فسد.

وإن أخذ وعولج صلح للادخار أتبعه ما لا يصلح للادخار بوجه فقال : ﴿ **وَقَضْبًا** ﴾ وهو الرطب من البقل وغيره وهو يقطع مرة بعد أخرى فيخلف سمي بمصدر قضبه ـ إذا قطعه بحصد أو قلع ـ، فكأنه لتكرار قطعه نفس القطع فقيل

(١) راجع الصحاح للجوهري: باب الباء/ فصل القاف/ جـ١/ صـ٢٠٣، ٢٠٤، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: بصيرة في قض، قضب، قضى، صـ٢٧٥، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب القاف/ فصل القاف والضاد/ جـ٣/ صـ٣١٤، ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب القاف/ صـ٤٠٥، ٤٠٦ .

(٢) لسان العرب لابن منظور: حرف الباء/ فصل القاف/ جـ١/ صـ٦٧٨، ٦٧٩ بتصرف.

(٣) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١ صـ٢٦٥، ٢٦٦ .

هو القت الرطب الذي يقضب مرة بعد أخرى تعلق به الدواب[١] وقيل: كل ما يقضب ليأكله ابن آدم غضًا من النبات كالبقول والهليون وكالغثاء والخيار[٢].

فتبين من ذلك أن تلك الفريدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَضْبًا ﴾ يدور معناها حول الرطب الذي يقضب ليأكله ابن آدم غضًا من النبات أو القضب هو العلف بعينه ويقضب أي يقطع مرة بعد أخرى وتعلف به الدواب واللفظ يحتمل المعنيين وإن كان المعنى الثاني يندرج تحت قوله: ﴿ وَأَبًّا ﴾ إلا أن لفظ ﴿ وَقَضْبًا ﴾ أعم.

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ وَقَضْبًا ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت كل ما يقضب ويقطع ليأكله ابن آدم غضًا من النبات أي الرطب والعلف بعينه للدواب وبالتالي ناسبت سياق الآيات إذ هي في بيان عجائب الصنع ومطلق القدرة التي يستدل بها على القدرة على البعث للحساب والجزاء فذكرت الآيات السابقة ما يقتات به ويصلح للادخار وهو الحب ثم ما هو فاكهة وقوت وهو العنب ويصلح ادخاره إذا عولج، ثم ما لا يصلح للادخار بوجه وهو القضب.

الفريدة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَأَبًّا ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٣].

ودلالة الفريدة عند علماء اللغة يقول الراغب الأصفهاني[٤]، والسمين الحلبي، وابن فارس: الآب المرعي المتهيء للرعي والجز من قولهم: آب لكذا أي: تهيأ، آبا

(١) فتح البيان لصديق خان: جـ١٥ / صـ٨٥ .
(٢) روح المعاني للألوسي مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٨١، ٨٢، ومحاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ٦١، وتفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٥٤، والبحر المحيط لأبي حيان: جـ١٠/ صـ٤١٠، والتحرير والتنوير لابن عاشور/ مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ١٣١، ١٣٢ .
(٣) سورة عبس: الآية ٣١ .
(٤) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الألف صـ٧، ٨، ومقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الهمزة، باب الهمزة في الذي يقال له المضاعف جـ١/ صـ٦، ٧، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي/ باب الهمزة/ فصل الألف مع الباء جـ١/ صـ٤٤، ٤٥ .

وإبابة وإيابا وأسال وطنه: إذا نزع إلى وطنه، نزوعًا تهيأ لقصده، وكذا آب لسيفه: إذا تهيأ لسله. وعند ابن فارس في مقاييس اللغة: (آب) يقول: اعلم أن للهمزة والباء في المضاعف أصلين: أحدهما المرعى، والآخر القصد والتهيؤ، أما الأول فقول الله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس/ ٣١] فالآب جميع الكلأ الذي يضلفه الماشية، فهذا أصل، روي عن ابن عباس، وأما الثاني: فقال الخليل: الآب مصدر: آب فلان إلى سيفه، إذا رد يده إليه ليستله. يقال آب هذا الشيء: إذا تهيأ واستقامت طريقة إيابه).

والآب: القصد يقال أبيت آبة.

وهي عند علماء التفسير: مرعى وكلأ الأنعام.

قال البقاعي في نظم الدرر[1] بيان لمناسبتها لما قبلها: لما ذكر سبحانه ما يتفكه ويدخر جمع فقال: ﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾ أي: ثمرة. رطبة يتفكه بها من فاكهة الناس ثم ذكر فاكهة بقية الحيوان فقال: ﴿ وَأَبًّا ﴾ أي: ومرعى ونباتًا وعشبًا وكلأ ما دام رطبًا يقصد من آب الشيء ـ إذا أمه) فقوله تعالى: ﴿ وَأَبًّا ﴾ هو كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس، ولا يرعونه من الكلأ وسائر أنواع المراعي.

وقيل: الآب: كل شيء ينبت على وجه الأرض، وقيل: الثمار الرطبة، والأول أولى.

وقيل: ﴿ وَأَبًّا ﴾ أي: ما ترعاه البهائم أي سواء كان رطبًا أو يابسًا فهو أعم من القضب[2] إذا هو الكلأ والمرعى من آبه إذا أمه وقصده، لأنه يؤم ويقصد أو من آب لكذا إذا تهيأ له، لأنه متهيء المرعى ويطلق على نفس مكان الكلأ[3].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٦٧ .

(٢) فتح البيان لصديق خان: جـ١٥/ صـ٨٦ بتصرف، ومحاسن التأويل للقاسمي: مجلد ١٠/ جـ١٧/ صـ٦١ .

(٣) روح المعاني للألوسي: مجلد ١٦/ جـ٣٠/ صـ٨٢ .

وذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير[1] أن سبب انتفاء علم الصديق والفاروق بمدلول الأب وهما من خلص العرب إذ قال الصديق لما سئل عن الأب ما هو؟ قال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به»٠

وأخرج ابن جرير وغيره أنس أن عمر رضي الله عنهما قرأ على المنبر: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا ﴾ أي قوله: ﴿ وَأَبّٗا ﴾ فقال كل هذا قد عرفناه فما الأب؟ ثم رفع عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك يا ابن أم عمر أن لا ندري ما الأب، ابتغوا ما بين لكم من هذا الكتاب، فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه، وفي صحيح البخاري من رواية أنس أيضًا أنه قرأ ذلك وقال: فما الأب، ثم قال: ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا٠

والسبب في قولهما رضي الله عنهما ذلك:

١ – إما لأن اللفظ كان قد توسي من استعمالهم فأحياه القرآن لرعاية الفاصلة فالكلمة قد تشتهر في بعض القبائل أو في بعض الأزمان وتنسى في بعضها٠

٢ – وإما لأن كلمة الأب تطلق على أشياء كثيرة منها النبت الذي ترعاه الأنعام، ومنها التين، ومنها يابس الفاكهة، فكان إمساك أبي بكر وعمر عن بيان معناه لعدم الجزم بما أراد الله منه على اليقين٠

٣ – وهناك وجه آخر خاص بكلام عمر: إن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاكل على شيء من العلم لا يعمل به تكلفًا عندهم، فأراد عمر أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان وقد علم من فحوى الآية أنه الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعًا له ولأنعامه فعليك مما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك مما عده من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد ١٥/ جـ٣٠/ صـ١٣٣، صـ١٣٤ ٠

النبات الخاص الذي هو اسم له واكتفى بالمعرفة الجميلة إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت، ثم وصى بالسير على هذا السنن ـ فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن.

فتبين من ذلك أن تلك الفريدة ﴿ وَأَبًّا ﴾ يدور معناها على المرعى من أب إذا أم لأنه يؤم وينتجع، أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي أو فاكهة يابسة تؤوب للشتاء[1].

فهو اسم لكل ما تأكله البهائم أي الكلأ والمرعى.

وبالتالي تبين السر وراء مجيء تلك الفريدة ﴿ وَأَبًّا ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت المرعى، والكلأ ـ وهو ما ترعاه البهائم سواء كان رطبًا أو يابسًا فهو أعم من القضب ـ وبالتالي ناسبت سياق الآيات حيث ذكر في الآيات السابقة ما يتفكه ويدخر وجمع ما يتفكه بها من فاكهة الناس في قوله ﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾ ثم ذكر فاكهة بقية الحيوان بقوله ﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾ وأيضًا لرعايته الفاصلة، وناسبت سياق الآيات إذ هي في بيان عجائب الصنع ومطلق القدرة التي يستدل بها على القدرة على البعث للحساب والجزاء ـ حيث ذكرت الآيات السابقة ما يقتات به ويصلح للادخار وهو الحب ثم ما هو فاكهة وقوت وهو العنب ويصلح ادخاره إذا عولج، ثم ما لا يصلح للادخار وهو القضب ثم ما يتفكه به ثم ما يتفكه بها من فاكهة الناس وهو﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾ ثم ذكر فاكهة بقية الحيوان بقوله﴿ وَأَبًّا ﴾ والله أعلم.

(١) تفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٥٤ .

الفريدة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾[١].

ودلالة اللفظة عند علماء اللغة كما قال ابن فارس في مقاييس اللغة[٢]: "صخ" الصاد والخاء أصل يدل على صوت من الأصوات من ذلك الصاخة، يقال: إنها الصيحة تصم الآذان. ويقال: ضربت الصخرة بحجر فسمعت لها صخًا.

وهي عند الراغب الأصفهاني[٣] شدة صوت ذي المنطق يقال: صخ يصخ صخًا فهو صاخ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ وهي عبارة عن القيامة حسب المشار إليه بقوله: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾[٤] وكذلك عند الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز[٥] وفي القاموس المحيط: الصاخة[٦]، ورم في العظم من كدمة أو صدمة يبقى أثره، والداهية: صاخات وصاخ، وأصاخ له: استمع.

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة ﴿ٱلصَّآخَّةُ ﴾ فقال الألوسي والفخر الرازي في مناسبتها لما قبلها: بعدما بين الله تعالى في الآيات السابقة ما يتعلق بخلقهم ومعاشهم الآيات الدالة على التوحيد له عزوجل، الدالة على القدرة المطلقة لله عزوجل، الدالة على أن الإله الذي أحسن إلى عبيده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان، لا يليق بالعاقل أن يتمرد عن طاعته بعد بيانه شرع سبحانه في بيان أحوال معادهم وشرح أهوال القيامة مؤكدًا لما تضمنته الآيات

---

(١) سورة عبس: الآية ٣٣ .
(٢) مقاييس اللغة لابن فارس:كتاب الصاد/باب الصاد وما معها في الذي يقال في المضاعف والمطابق جـ٢/صـ٢٨١ .
(٣) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الصاد/ جـ / صـ٢٧٥ ط دار المعرفة.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٧٣ .
(٥) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: بصيرة في صحف وصح صـ٣٨٩ ط:المكتبة العلمية بيروت.
(٦) القاموس المحيط للفيروزآبادي: باب الخاء/ فصل الصاد/ جـ١/ صـ٢٥٤، ٢٥٥ .

السابقة إذ الإنسان إذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها، والإعراض عن الكفر(١).

فهو سبحانه لما ذكر في الآيات السابقة عجائب الصنع في الطعام، وكان ذلك تعطف فتعود لاسيما المرعى فإنه يأتي عليه الخريف فينشف ثم يتحطم من الرياح ويتفوق في الأرض ثم يصير ترابًا ثم يبعث الله المطر فيجمعه من الأرض ثم ينبته كما كان وذلك مثل إحياء الموتى سواء، قال مسببا عما ثبت به الإحياء للبعث إلى المحشر معبرًا بأداة التحقق لأن الساعة مما لابد منه ولا محيد عنه لأنها سر الكون فإن فيها حساب الذين استخلفوا في هذا الوجود، وأفيضت عليهم النعم فقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ﴾ أي كانت ووجدت لأن كل ما هو كائن كأنه لاقيك وجاء إليه ﴿ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ أي: الصرخة العظيمة التي يبالغ في أسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها لشدتها، وكأنها تطعن فيها لقوة وقتها وتفطر الأذان إلى أن تصيح إليها أي تسمع وهي من أسماء القيامة وأصل الصخ الضرب بشيء صلب على مصمت(٢).

والفاء في قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يشعر به لفظ المتاع من سرعة زوال هاتيك النعم وقرب اضمحلالها، و﴿ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ هي: الداهية العظيمة من صخ بمعنى أصاخ أي استمع، والمراد بها النفخة الثانية ووصفت بها لأن الناس يصخون لها فجعلت مستمعة مجازًا في الظرف أو الإسناد.

(١) راجع روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٨٣، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد١٦/ جـ٣١، صـ٦٤ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي ـــ جـ٢١/ صـ٢٦٨، ٢٦٩ بتصرف.

وقال الراغب: الصاخة: شدة صوت ذي النطق، يقال: صخ يصخ فهو صاخ، هي بمعنى الصائخة مجازًا، وقيل مأخوذة من صخة بالحجر أي: صكه.

وقال الخليل: هي صيحة تصخ الآذان صخًا أي: تصمها لشدة وقتها، وقيل: هي التي نورت الصمم، وإنها لمسمعة، ولعمر الله تعالى إن صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة[1] فالصاخة صارت في القرآن علمًا بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء هذا العالم، وتحصل صيحات منها أصوات نوازل الأرض، ونفخة الصور التي تبعث عندها الناس، و﴿ إِذَا ﴾ طرف وهو متعلق بـ﴿ جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ وجوابه قوله[2]: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾[3].

فتبين من ذلك أن ﴿ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ هي الداهية العظيمة التي تصخ الآذان صخًا أي تصمها لشدة وقعها فهي تورث الصمم والصاخة في القرآن صارت علمًا بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء هذا العالم فهي الصائخة مجازًا وهي المستمعة مجازًا فحصت بالصاخة وإن شاركت الطامة في أنها النفخة الثانية؛ لأنها الصوت الشديد والصوت يكون بعد الطم فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة[4].

فخصت النازعات بالطامة لأن الطم قبل الصخ والفزع قبل الصوت فكانت هي السابقة وخصت عبس بالصاخة لأنها بعدها وهي اللاحقة[5].

---

(١) روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٨٤، والبحر المحيط لأبي حيان: جـ١٠/ صـ٤١٠، ومحاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ٢٧/ صـ٦٢، وتفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٥٤.

(٢) سورة عبس: الآية ٣٨.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ١٣٤، وصـ١٣٥.

(٤) راجع فتح البيان لصديق خان: جـ١٥/ صـ٨٧، وجـ١٥/ صـ٦٨.

(٥) أسرار التكرار في القرآن المسمى بالبرهان في متشابه القرآن للكرماني: جـ١/ صـ٢٤٦، جـ١/ صـ٢٤٦ تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ـــ ط دار الفضيلة.

وبالتالي تبين سر مجيء تلك الفريدة ﴿ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صوة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت أنها الداهية العظيمة التي تصخ الأذان أي تصمها لشدة وقعها، أو هي المستمعة مجازًا أو الصائخة مجازًا، وناسب ذلك سياق النظم الكريم للآيات السابقة إذ تحدثت عن دلائل القدرة المطلقة في خلقهم، ومعاشهم، والإحسان إليهم ثم شرع هنا ببيان أحوال معادهم وشرح أهوال القيامة وكونها صاخة للتأمل في دلائل القدرة والإيمان بها، والله أعلم.

المبحث الرابع

أسرار التعبير بالفرائد القرآنية في سورة التكوير

سميت هذه السورة "سورة التكوير" بسورة ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾.

روى الإمام أحمد[١] عن ابن عمر: قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلي يوم القيامة، كأنه رأى عين فليقرأ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾، ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾، ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾[٢] وليس هذا الحديث صريحًا في التسمية لأن صفة يوم القيامة ليست في جميع هذه السورة بل هو في الآيات الأول منها فتعين أن المعنى فليقرأ هذه الآيات، وعنونت في صحيح البخاري وفي جامع الترمذي سورة ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ فكذلك عنونها الطبري، وفي المصاحف والتفاسير "سورة التكوير" اختصار المدلول كورت، ولم يعدها في الإتقان مع السور التي لها أكثر من اسم.

وهي مكية[٣] بالاتفاق، وعدد آياتها تسع وعشرون آية[٤].

وباستقراء السورة الكريمة وجدتها اشتملت على سبع فرائد فقط لم تتكرر مطلقًا مادة ولا صيغة، وهي على ترتيب دراستها (انكدرت، الوحوش، الموءودة، كشطت، الكنس، عسعس، بضنين).

وسوف نركز على دراسة تلك الفرائد ولن نتعرض للألفاظ التي تجاورها في الآيات إلا بقدر ما يقتضيه سياق البحث والدراسة.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٢/ ح٤٨٠٦/ صـ٢٧ ط دار الحديث.
(٢) راجع محاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ٦٣ .
(٣) راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ١/ صـ٤٠ .
(٤) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ١٣٩ .

فنبدأ وبالله التوفيق:

الفريدة الأولى: ﴿ **ٱنكَدَرَتْ** ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ** ﴾[١]:

ودلالة تلك الفريدة عند علماء اللغة تدول حول: الحركة والإسراع والتناثر ٠

يقول ابن فارس في مقاييس اللغة[٢]: "كدر" الكاف والدال والراء أصل يدل على خلاف الصفو، والآخر يدل على حركة٠

يقال: الكدر إذا أسرع قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ** ﴾٠

ويقول الراغب الأصفهاني والسمين الحلبي[٣]: قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ** ﴾ أي: انتثرت وأصله من الكدر وهو ضد الصفاء والمعنى تغيرت بالتناثر وذلك أنها إذا تناثرت تغير شكلها وهيئتها التي كانت بها زينة، وانكدر القوم على كذا أي قصدوا متناثرين عليه، ويقال لكل ما انتثر ومر مرًا سريعًا (قد انكدر) وأضاف الجوهري والفيروزآبادي[٤] أسرع وانقض، وانكدر عليهم القوم إذا جاءوا أرسالا حتى ينصبوا عليهم، وانكدرت النجوم تناثرت[٥] ٠

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة٠

---

(١) سورة التكوير: الآية ٢ ٠

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الكاف/ باب الكاف والدال وما يثلثهما، جـ٥/ ١٦٤ ط دار الفكر ٠

(٣) راجع: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب الكاف/ فصل الكاف والدال/ جـ٣/ ص٣٧٩، ٣٨٠، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الكاف صـ٤٢٦، ٤٢٧ ٠

(٤) الصحاح للجوهري: باب الراء/ فصل الكاف/ جـ٢/ ٨٠٣، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: بصيرة في كدح وكدر وكدى صـ٣٣٧، والقاموس المحيط للفيروزآبادي: باب الراء/ فصل الكاف/ جـ١/ صـ٤٦٩ ٠

(٥) لسان العرب لابن منظور: حرف الراء/ باب الكاف/ جـ٥/ ١٣٥ ٠

فقال البقاعي[١] **في مناسبة هذه الآية:** أنه لما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة ابتدئت سورة التكوير بإتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأى عين فقال بادئًا بعالم الملك والشهادة لأنه أقرب تصورًا لأنه من المحسوسات مبينًا أنه سيخرب تزهيدًا فيه وحثا على عدم التعلق به ـ ولما كان التأثير في الأعظم وهو تكوير الشمس دالاً على التأثير فيما دونه بطريق أولى أتبع ذلك قوله معممًا بعد التخصيص فقال: ﴿ **وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ** ﴾٠

يقول ابن عاشور[٢]: ﴿ **وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ** ﴾ إذا افتتاح مشوق لأن إذا ظرف يستدعي متعلقًا ولأنه أيضًا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال التمكن، وخاصة بتكرير كلمة ﴿ **إِذَا** ﴾ وتعدد الجمل التي أضيفت إليها اثنتى عشرة مرة، فإعادة كلمة ﴿ **إِذَا** ﴾ بعد واو العطف في هذه الجمل المتعاطفة اطناب، وهذا الاطناب اقتضاه قصد التهويل، والتهويل من مقتضيات الاطناب والتكرير، وفي إعادة ﴿ **إِذَا** ﴾ إشارة إلى أن مضمون كل جملة من هذه الجمل الثنتى عشرة مستقل بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بقطع النظر عن تفاوت زمان حصول الشروط، وقد ذكر في هذه الآيات[٣] اثنا عشر حديثًا، فستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة٠

وتقديم المسند إليه على المسند للاهتمام بما أسندت إليه الأفعال لأن الابتداء بها أدخل في التهويل والتشويق ولإفادة تقوية الحكم وتأكيده ردًا على إنكار منكريه

(١) نظم الدرر للبقاعي ـــ جـ٢١/ صـ٢٧٥، ٢٧٦ بتصرف٠
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/جـ٣٠/صـ١٤٠ بتصرف صـ١٤١ ٠
(٣) سورة التكوير: الآيات من ١ : ١٣ ٠

فلذلك قيل ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ ولم يقل "وإذا انكدرت النجوم" وجواب الشرط قوله ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ وصيغة الماضي مستعملة في معنى الاستقبال تنبيهًا على تحقق وقوع الشرط، وقوله: ﴿ ٱنكَدَرَتْ ﴾ انكدار النجوم هو من تكدير الشمس لها حين زال عنها انعكاس نورها، فإذا زال ضوء الشمس انكدرت النجوم لأن معظمها يستنير من انعكاس نور الشمس عليها، فانكدرت، أي: أظلمت.

فالكدرة ضد الصفاء كتغيير لون الماء، وفسر الانكدار بالتساقط والانقضاض، ومعنى تساقطها تساقط بعضها على بعض واصطدامها بسبب اختلال نظام الجاذبية الذي جعله الله لإمساكها إلى أمد معلوم حتى كان ذلك التساقط كأنه بأنفسها من غير فعل فاعل في غاية الإسراع.

وبذلك قال البقاعي في نظم الدرر،وصديق خان في فتح البيان والبيضاوي في تفسيره وغيرهم(١).

وذكر الفخر الرازي وغيره معنى التساقط والتناثر والتهافت فقط ـ للانكدار(٢)، وفي كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن بمعنى "انفضت"(٣).

فتبين من ذلك أن تلك الفريدة ﴿ ٱنكَدَرَتْ ﴾ يدور معناه حول الانقضاء والتهاون والتساقط والتناثر وذلك كله كأنه بأنفسها من غير فاعل في غاية الإسراع، أو الإظلام والتغيير لتلك النجوم فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها فانكدرت وأظلمت.

---

(١) راجع نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ ٢٧٦، والبحر المحيط لأبي حيان جـ١٠/ صـ٤١٤، وفتح البيان لصديق خان: جـ١٥/ ٩٤، وتفسير البيضاوي: جـ٥/ صـ٤٥٦، وروح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٨٩ .

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي/ مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ٦٨، ومحاسن التأويل للقاسمي: مجلد١٠/ جـ١٧/ صـ٦٤، وزاد المسير في علم التفسير للجوزي: جـ٤/ صـ٤٠٦، ط دار الكتاب العربي ـــ بيروت، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب للجوزي: جـ١/ صـ٤٤٠ .

(٣) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للنيسابوري ـــ جـ٣/ ١٦٣٠/ ط جامعة أم القرى.

وبالتالي تبين سر مجيء تلك الفريدة ﴿ ٱنكَدَرَتْ ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت التناثر والتساقط الذي هو في غاية الإسراع، وأفادت التغيير لتلك النجوم وتكدير الشمس لها حين زال عنها انعكاس نورها فأظلمت فلم يبق لها ضوء ـ وأيضًا لمراعاة سياق النظم الكريم للآيات السابقة والله أعلم.

الفريدة الثانية: ﴿ ٱلْوُحُوشُ ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[1].

ودلالة تلك الفريدة عند علماء اللغة تدول حول الحيوانات التي لا أنس لها بالأنس وحشًا وجمعه وحوش، وكذلك المكان الذي لا أنس فيه وحش، يقال لقيته بوحش اصمت أي: ببلد قفر، وبات فلان وحشًا إذا لم يكن في جوفه طعام، وجمعه أوحاش، ويسمى المنسوب إلى المكان الوحش وحشيًا، وعبر بالوحشى عن الجانب الذي يضاد الإنسي، والإنسي هو ما يقبل منهما على الإنسان، وعلى هذا وحشي القوس وإنسيه[2]، فالوحش والوحوش هي حيوان البر الواحد وحشي، يقال السمين حمار وحشي بالإضافة وحمار وحش، وأرض موحوشة ذات وحوش.

وكان الأصمعي يقول: الوحش الجانب الأيسر من كل شيء، ووحش القوس: ظهرها، وانسيها ما أقبل عليها منها.

والوحشة: الحلوة والهم[3]، فالواو والحاء والشين كلمة تدل على خلاف الإنس: توحش: فارق الأنيس والوحش خلاف الإنس... [4].

---

(١) سورة التكوير: الآية ٥ .

(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الواو/ صـ٥١٥، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب الواو/ فصل الواو والحاء/ جـ٤/ صـ٣٩٠، ٣٩١ .

(٣) راجع الصحاح للجوهري: باب الشين/ فصل الواو/ جـ٣/ صـ١٠٣٤، ١٠٣٥ بإيجاز.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الواو/ باب الواو والحاء وما يثلثهما جـ٦/ ٩١ .

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة فيقول البقاعي في مناسبة هذه الآية لما قبلها(١): لما ذكر الله تعالى المفرعات الدالات على إرادة أمر عظيم قرب ذلك الأمر بإفهام أنه الحشر، ودل على عمومه بذكر ما يظن إهماله فقال: ﴿ **وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ** ﴾ أي ما توحش من دواب البر التي لا تأنس بأحد التي يظن أنه لا عبرة بها ولا التفات إليها فما ظنك بضرها ﴿ **حُشِرَتْ** ﴾ أي بعثت وجمعت من كل أدب فهي لإرادة العرض على الملك الأعظم والفصل بينها في أنفسها حتى يقتضي للجماء من القرناء وبينها وبين غيرها أيضًا حتى يسأل العصفور قاتله لما قتله؟

قال قتادة: يحشر كل شيء للقصاص حتى الذباب "ولا يستوحش الوحش من الناس ولا الناس من الوحوش من شدة الأهوال، وذلك أهول وأفزع وأخوف وأفظع، وكل شيء في الدنيا يحضر في تلك الدار، فإذا وقع الفصل جعل الخبيث في جهنم زيادة في عذاب أهلها، والطيب في الجنة زيادة في نعيم أهلها.

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

فقال الفخر الرازي(٢): ﴿ **ٱلْوُحُوشُ** ﴾ جمع وحش وهو الحيوان البري غير المتأنس بالناس، فكل شيء من دواب البر مما لا يستأنس فهو وحش والجمع والوحوش "وحشرها" جمعها من كل ناحية في مكان واحد.

قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص والغرض من ذكر هذه القصة ههنا وجوه:

أحدها: أنه تعالى إذا كان يوم القيامة يحشر كل الحيوانات إظهارًا للعدل، فكيف يجوز مع هذا أن لا يحث المكلفين من الإنس والجن؟

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٧٧، صـ٢٧٨ .
(٢) راجع: التفسير الكبير ـــ مفاتيح الغيب للرازي: مجلد١٦/ جـ٣١/ صـ٩٨، ٩٩ .

الثاني: أنها تجتمع في موقف القيامة مع شدة تقربها عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحارى، فدل هذا على أن اجتماعها إلى الناس ليس إلا من هول ذلك اليوم٠

الثالث: أن هذه الحيوانات بعضها غذاء لبعض، ثم إنها في ذلك اليوم تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض، وما ذاك إلا لشدة هول ذلك اليوم٠

«فهو إيماء إلى شدة الهول كما قال ابن عاشور ويرى أن هذا الحشر ليس الذي يحث للناس فيه للحساب بل هذا خشى في الدنيا فهي تجتمع في مكان واحد من الأرض عند اقتراب فناء العالم طالبة النجاة من الهلاك ويشعر بها عطف ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ وهو المناسب لما عد معه من الأشراط، وروى معناه عن أبي بن كعب[1] وهناك قول الآخر لحشرت عند الألوسي[2]: أي جمعت من كل جانب وذلك قبيل النفخة الأولى حين تخرج نار تفر الناس والأنعام منها حتى تجتمع، وقال مجاهد: خشى الوحوش عبارة عن موتها، أي جمعت بالموت فلا تبعث ولا يحضر في القيامة غير الثقلين، وقيل بعثت القصاص فيحشر كل شيء حتى الذباب، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام ـ والله أعلم٠

فتبين من ذلك أن تلك الفريدة ﴿ ٱلْوُحُوشُ ﴾ يدور معناها حول ما توحش من دواب البر غير المتآنس بالناس ومما لا يستأنس فهي مع شدة تقربها من الناس في الدنيا ـ تجتمع في مكان واحد من شدة هول هذا اليوم ومع كون بعضها غذاء لبعض لا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك إلا لشدة هول هذا اليوم سواء أكان قبيل النفخة الأولى أو للعرض والحساب يوم القيامة٠

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ١٤٣ ٠
(٢) راجع: روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٩٠، ٩١ ٠

وبالتالي تبين سر مجيء تلك الفردة ﴿ ٱلْوُحُوشُ ﴾ مرة واحدة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى ـ إذ أفادت أنها ما توحش من دواب البر غير المتآنس بالناس ومما لا يستأنس فهي مع توحشها وشدة نفرتها من هول وشدة هذا اليوم تجتمع فناسبت سياق الآيات السابقة واللاحقة بها ـ والله أعلم.

الفريدة الثالثة: ﴿ ٱلْمَوْءُۥدَةُ ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[1]:

ودلالة تلك الفريدة عند علماء اللغة تدور حول إثقال شيء بشيء والموءودة، هي التي تدفن حية فهي تثقل بالتراب الذي يعلوها، والوأد أيضًا الصوت العالي الشديد كما في لسان العرب[2].

قال ابن فارس[3]: "وأد" الواو والهمزة والدال: كلمة تدل على إثقال شيء بشيء يقال للإبل إذا قست بثقلها: لها وئيد، والموءودة من هذا؛ لأنها تدفن حية، فهي تثقل بالتراب الذي يعلوها.

وفي الصحاح للجوهري[4]: وأد بنته يئدها وأدا: أي دفنها وهي حية.

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة فيقول البقاعي في مناسبة هذه الآية لما قبلها[5]: ولما صرح الأمر فكانت القلوب أحر من الجمر ذكر ما هو المقصود الأعظم وهو السؤال على وجه يفهم العموم فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ ﴾ أي: ما دفن من الأولاد حيا بعد الولادة أو حصل تسبب في قتله قبل الولادة بدواء أو نحوه، سميت موءودة لما يوضع عليها من التراب فيثقلها

(١) سورة التكوير: الآية ٨ .
(٢) لسان العرب لابن منظور: حرف الدال المهملة/ فصل الواو/ جـ٢/ صـ٤٤٢ .
(٣) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الواو/ باب الواو والهمزة وما يثلثهما/ جـ٦/ ٧٨ بتصرف.
(٤) راجع الصحاح للجوهري: باب الدال/ فصل الواو/ جـ٢/ ٥٤٦ .
(٥) راجع نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٧٩، ٢٨٠ .

فيقتلها "وأدًا" مقلوب "آوا" إذا أثقل، وإلقاؤها في البئر المحفور لها قريب من انكدار النجوم وتساقطها، ولما كان هذا أهون القتل عندهم وكانوا يظنون أنه مما لا عبرة به، بين أنه معتنى به وأنه لابد من بعثها وجعلها بحيث تعقل وتجيب وإن كان نفخ الروح فيها في زمن يسير فقال: ﴿ سُئِلَتْ ﴾ أي وقع سؤالها عما يليق أن تسأل عنه.

وسؤالها دون الوائد مع أن الذنب له دونها لتسليتها، وإظهار كمال الغيظ لوائدها، وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض[1].

وظاهر الآية أن سؤال الموءودة وعقوبة من وأدها أول ما يقضي فيه يوم القيامة كما يقتضي ذلك جعل هذا السؤال وقتًا تعلم عنده كل نفس ما أحضرت فهو من أول ما يعلم به حين الجزاء[2] وعليه فقد تفردت الفريدة في سياقها. إذ أفادت ما دفن حيا فهي موءودة لما يوضع عليها من التراب يثقلها فيقتلها، وتناسبت مع نظم سياق ما قبلها وبعدها.

الفريدة الرابعة: ﴿كُشِطَتْ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾[3]: وهو حديث عما يقع يوم القيامة من كشط السماء وزوالها.

يقول ابن فارس: ﴿ كُشِطَتْ ﴾ الكاف والشين والطاء كلمة تدل على تنحية الشيء وكشفه يقال: كشط الجلد عن الذبيحة، ويقولون انكشط روعه أي: ذهب[4].

(١) روح المعاني للألوسي: مجلد١٦/ جـ٣٠/ صـ٩٠، ٩١ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠ صـ١٤٤، ١٤٥ .
(٣) سورة التكوير: الآية ١١ .
(٤) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الكاف/ باب الكاف والشين وما يثلثهما جـ٥/ صـ١٨٤ .

وفي لسان العرب لابن منظور[١]: قوله: وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾؛ قال الفراء: يعني نزعت فطويت، وقال الزجاج: معنى كشطت وقشطت قلعت كما يُقلع السقف.

وفي عمدة الحفاظ[٢] أي: قلعت عن مقرها، ونحوه: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾[٣] أي: قلعت كما يقلع سقف البيت، من قولهم: كشطت الحبل عن ظهر الفرس وقشطته وكشطت جلد الناقة وقشطته: أي: سلخته وسحبته، قال ابن عرفة: تكشط السماء كما يكشط الغطاء عن الشيء.

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

يقول البقاعي في مناسبة الآية لما قبلها عند تفسيره لقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾[٤] لما ذكر ما يطبق وينشر أتبعه ما يطوى ويحصر، ليبدو ما فوقه من العجائب وينظر، فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ ﴾ أي: هذا الجنس كله؛ أفرده لأنه يعلم بالقدرة على بعض القدرة على الباقي، ﴿ كُشِطَتْ ﴾ أي: قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة وأزيلت عن مكانها التي هي سائرة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها لأن ذلك يوم الكشف والإظهار[٥]، وبذلك قال صديق خان[٦] في فتح البيان: «أزيلت عن أماكنها وقلعت كما يقلع السقف أو نزعت فطويت فالكشط رفعك شيئًا عن شيء قد غطاه».

(١) راجع لسان العرب لابن منظور: حرف الطاء المهملة/ فصل الكاف/ جـ٧/ ٢٨٧ بإيجاز.
(٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب الكاف/ فصل الكاف والشين/ جـ٣/ صـ٤٠٠ .
(٣) سورة الطور: الآية ٩ .
(٤) سورة التكوير: الآية ١١ .
(٥) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٨١ .
(٦) راجع فتح البيان لصديق خان: جـ١٥/ ١٠١ .

والكشط أبلغ كما وضح ابن عاشور لأنه لا يغني غيره مكانه من مثل الإزالة أو النزع أو السلخ فمعناه أعمق وأقرب للهدف وأقوى للمنزوع فالكشط أعم من ذلك كله، وكأنه يأتي على كل جزء فيها صغيرًا كان أم كبيرًا، ولا يترك شيئًا فهو يقتلع من الجذور والأصول ويبقى الأمر مكشوفًا تمامًا، وواضحًا للرائين فالكشط هو نزع الشيء برمته كما تنزع إهاب الإبل، فالكشط كما قال ابن عاشور[1] إزالة الإهاب عن الحيوان الميت وهو أعم من السلخ لأنه لا يقال إلا في إزالة إهاب البقر والغنم دون إزالة إهاب الإبل فإنه كشط ولا يقال سلخ، والظاهر أن المراد إزالة تقع في يوم القيامة لأنها ذكرت في أثناء أحداث يوم القيامة بعد ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ أما النزع أو الطي أو القلع فدلالتها توحي بعدم تمام الأمر وعدم كمال النزع وبما لا يتم المراد منه كالكشط والفعل ﴿ كُشِطَتْ ﴾ فعل مبني للمجهول وبناؤه للتخويف والرعب ليحذر الذين يخالفون أمر الله من هول هذا اليوم فينصلح حالهم إلى أحسن حال مع الله عزوجل، وحتى يرتبط بالله وحده دون سواه من الثوابت والمشاهد الكونية المتغيرة والمتبدلة فكشط السماء يكون في المرحلة قبل الأخيرة من هذه الأحوال ثم تأتي بعدها الجحيم والجنة والسماء مكشوطة والمكشوط عنه هو عالم الخلود ويكون كشطت استعارة للإزالة[2] وعليه فقد تفردت الكلمة في سياقها. إذ أفادت القلع بقوة عظيمة وسرعة زائدة وأزيلت عن مكانها بعمق فالكشط أقوى وأبلغ وأعمق وأقرب وأقوى للمنزوع، وناسب ذلك نظم سياق الآيات السابقة واللاحقة إذ ذكرت أثناء أحداث يوم القيامة بعد قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[3]

(١) راجع التحرير والتنوير لابن عاشور: مجلد١٥/ جـ٣٠/ صـ١٤٩ .
(٢) التحرير والتنوير: مجلد١٥/ جـ٣٠/ ١٤٩ .
(٣) التكوير: الآية ٨ .

وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[١] وذكر بعدها: ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾[٢] فناسبت السابق واللاحق.

الفريدة الخامسة: ﴿ ٱلْكُنَّسِ ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾[٣]: ودلالتها عند علماء اللغة يقول ابن فارس في مقاييس اللغة[٤]: (كنس) الكاف والنون والسين أصلان صحيحان أحدهما يدل على سفر شيء عن وجه شيء وهو كشفه، والأصل الآخر يدل على استخفاء.

فالأول: كنس البيت وهو سفر التراب عن وجه أرضه.

والأصل الآخر: الكناس: بيت الظبي، والكانس: الظبي يدخل كناسه، والكنس الكواكب تكنس في بروجها كما تدخل الظباء في كناسها.

قال أبوعبيدة: تكنس في المغيب وأكد هذا المعنى السمين الحلبي[٥] حيث قال: ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ جمع كانس، والكانس من الوحش ما دخل كناسه كالظبي وبقر الوحش، والمراد هنا النجوم؛ شبهها في استتارها ببروجها بالوحش الداخل كناسه، وقد كنست كنوسًا؛ قيل: هي من الكواكب خمس: زحل والمريخ والمشترى وعطارد والزهرة.

وقيل: كل كوكب، وقيل: البقر الوحشية والظبي، ولله أن يقسم بما شاء.

---

(١) التكوير: الآية ١٠ .
(٢) التكوير: الآية ١٢ .
(٣) سورة التكوير: الآية ١٦ .
(٤) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الكاف/ باب الكاف والنون وما يثلثهما، جـ٥/ صـ١٤١، ط دار الفكر/ تحقيق عبدالسلام محمد هارون.
(٥) راجع عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب الكاف/ فصل الكاف والنون/ جـ٣/ صـ٤٣٣ .

وفي الصحاح[1]: ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: الكواكب، لأنها تكنس في المغيب، أي تستتر، ويقال هي الخنس السيارة.

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن دلالة تلك الفريدة.

فقال البقاعي عن مناسبة تلك الآية لما قبلها: لما كان السياق للترهيب وأن يكون لكفرة وكان أعظم ما يخطره الكفرة من أعمالهم بعد الشرك وكان الأليق بآخر عبس التكذيب بالحق وأعظمه التكذيب بالقرآن، والتكذيب به يوقع في كل حرج مع أنه لا شيء أظهر منه في أنه كلام الله المعجز، وسبب عن هذا التهديد قوله مقسما بما دل على عظيم قدر المقسم عليه بترك الإقسام بأشياء هي من الإجلال والإعظام في أسنى مقام، فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾[2] أي لأجل حقية القرآن لأن الأمر فيه غنى عن قسم لشدة ظهوره وانتشار نوره، ثم أبدل من الخنس ـ وهي الكواكب التي يتأخر طلوعها عن طلوع الشمس فتغيب في النهار لغلبة ضياء الشمس لها، وهي النجوم ذات الأنواء التي كانوا يعظمونها بنية الإفطار والرحمة ـ التي ينزلها الله، قالوا هي: القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشترى فزحل، ثم أبدل منها أعظمها وهي ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾[3].

يقول البقاعي عند تفسير قوله: ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ أي: السيارة لأنها تجري مع الشمس والقمر ﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾ أي: أنها ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اخفاؤها تحت ضوئها وقيل خنوسها خفاؤها بالنهار وكنوسها غروبها.

(١) راجع الصحاح للجوهري: باب السين/ فصل الكاف/ جـ٣/ صـ٩٧٢ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ ٢٨٤، ٢٨٥ بتصرف.
(٣) التكوير: ١٦ .

وقال الحسن وقتادة: هي النجوم التي تخنس بالنهار وإذا غربت، والمعنى متقارب لأنها تتأخر في النهار عن البصر لخفائها فلا ترى وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها.

وقيل المراد بها: بقر الوحش وبه قال ابن مسعود؛ لأنها تتصف بالخنس وبالجواري وبالكنس، وقال عكرمة: اخنس البقر والكنس الظباء فهي تخنس إذا رأت الإنسان وتنقبض وتتأخر وتدخل صابها وقيل هي الملائكة والأول أولى لذكر الليل والصبح بعد هذا.

والكنس مأخوذ من الكناس الذي يختفي فيه الوحش.

والخنس جمع خانس وخانسة، والكنس جمع كانس وكانسة)[1].

وفي البقاعي قال ابن عباس هي البقرة تكنس إلى الظل، وعنه قال تكنس لأنفها في أصول الشجر تتوارى فيه، وغيره قال هي الظباء، وعن الخنس البقر، والجوار الكنس الظباء ألم ترها إذا كانت في الظل كيف تكنس بأعناقها ومدت نظرها[2] وإنما نفى الإقسام بها لأنها وإن كانت عظيمة في أنفسها بما ناط بها سبحانه من المصالح وأنتم تعظمونها وتفلون فيها لأن فيها نقائض الغيبوبة وانبهار النور، والقرآن المقسم لأجله منزه عن ذلك بل هو الغالب على كل ما سواه من الكلام غلبة هي أعظم من غلبة ضياء الشمس لنور ما سواها من الكواكب ولذلك لا يليق أن يقسم بها لأجله[3].

واختلف العلماء في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه:

(١) فتح البيان لصديق حسن خان: جـ١٥/ ١٠٢ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٨٥ .
(٣) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٨٦ .

القول الأظهر: أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة للسيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شك أن هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة وباهرة.

والقول الثاني: أنها جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل أي: تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها.

القول الثالث: أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى: ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ ولا شك أن فيها مطلعًا واحدًا ومغربًا واحدًا هما أقرب المطالع والمغارب إلى سمت رؤوسنا، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة، ثم ترجع إليه فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع، وكنوسها عبارة عن عودها إليه ـ والله أعلم بمراده.

الجواري وقيل هي البقر الوحشي ـ والكنس جمع كانس وهي التي تدخل الكناس.

ولكن القول هو الأول والدليل عليه:

١ – أنه قال بعد ذلك: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش.

٢ – أن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش[1] وعليه فقد تفردت الكلمة ﴿ ٱلْكُنَّسِ ﴾ في سياقها. إذ أفادت إخفاؤها تحت ضوء الشمس أي غروبها فهي تكنس في المغيب أي تستتر وتختفي وذلك يتناسب مع نظم الآيات السابقة إذ لما كان السياق للترهيب فكان الأليق يأخذ عبس أن يكون للكفرة وكان أعظم ما يخطره الكفرة من

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: مجلد: ١٦/ جـ٣١/ صـ٧٢، ٧٣.

أعمالهم بعد الشرك، هو التكذيب بالقرآن وسبب عن هذا التهديد مقسمًا بما دل على عظم قدر المقسم عليه بترك الإقسام بأشياء هي من الإجلال في أسمى مقام ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾[1] أي لأجل أحقية القرآن لأنه غني عن القسم لشدة طهوره وانتشار نوره ثم أبدل من الخنس أعظمها وهي الجوار الكنس فناسبت سياق النظم.

الفريدة السادسة: ﴿ عَسۡعَسَ ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾[2].

ودلالتها عند علماء اللغة هو من الأضداد أي أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه، والعسعسة ـ والعساس: رقة الظلام وذلك في طرفي الليل[3].

وأضاف السمين الحلبي: إنه ليس من الأضداد، بل لأن بينهما قدرًا مشتركًا، وقال إليه نحا الهروي وغيره، وقال: والمعنيان يرجعان إلى معنى واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره ويقال رجل عاس وعساس لمن يتعسس بالليل[4].

ولم يخرج المفسرون عما قاله اللغويون في حديثهم عن تلك الفريدة فقال البقاعي: عن مناسبة هذه الآية ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ لما قبلها: أنه سبحانه لما ذكر غيابها ففهم منه محله وهو النهار، ذكر محل ظهورها فأفهم الظهور فقال: ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ أي الذي هو محل ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب كنوسها ﴿إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ أي أقبل ظلامه، واعتكر سواده فظهرت الكواكب زهرًا منثورًا في بيداء تلك الغياهب، فإن فيه نقصانًا بالظلام وغير ذلك، وقيل: معناه أدبر وقيل: أظلم، وقيل: انتصف، وقيل انقضى، وسعسع بمعناه فهو ما لا يستحيل بالانعكاس والآية

(١) التكوير: الآية ١٥ .
(٢) سورة التكوير: الآية ١٧ .
(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب: كتاب العين/ صـ٣٣٤، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي/ باب العين/ فصل العين والسين/ جـ٣/ صـ٧٢ .
(٤) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: باب العين/ فصل العين والسين/ جـ٣/ صـ٧٣ .

من الاحتباك: ذكر خنوس الكواكب وكنوسها أو لا يفهم ظهورها ثانيًا، وذكر الليل ثانيًا يفهم حذف النهار أولاً[١].

وقد أجمع المفسرون على أن معنى ﴿ عَسْعَسَ ﴾ أدبر أي أقبل ظلامه، وإن كان في الأصل مشتركًا بين الإقبال والإدبار إذ هو من الأضداد.

ويؤيد إجماع المفسرين أن عسعس بمعنى أدبر قوله بعدها ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[٢] فتنفس الصبح إقباله فقد امتد ضوءه حتى يصير نهارًا[٣] .

فتنفس الصبح يشير إلى أن الليل إذا عسعس تنطبق على بداية الغروب عند القدوم وبداية الغروب عندما يتنفس الصبح ضوءًا يرجف شيئًا فشيئًا مع كل تنفس (زفير وشهيق للصبح) ولهذه الأسباب تفردت اللفظة عسعس في سياقها ولم يعن غيره عنها في أداء المعنى، وتناسبت مع نظم السياق قبلها فهي ممن ترك الإقسام بها لعظم قدر المقسم عليه وهو القرآن لشدة ظهوره وانتشار نوره مع الجوار الكنس فناسبت نظم السياق ـ والله أعلم.

الفريدة السابعة: قوله تعالى: ﴿ بِضَنِينٖ ﴾ ووردت في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾[٤].

دلالة هذه اللفظة عند علماء اللغة: أي ما هو ببخيل، والضنة هو البخل بالشيء النفيس[٥]، فالضاد والنون أصل صحيح يدل على بخل بالشيء[٦].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٨٦ .
(٢) سورة التكوير: الآية ١٨ .
(٣) راجع فتح البيان للقنوجي صديق حسن خان: جـ١٥/ صـ١٠٤، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن جـ٤/ صـ٣٩٩ ط دار الكتب العلمية.
(٤) سورة التكوير: الآية ٢٤ .
(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: كتاب الضاد/ صـ٢٩٩/ ط دار المعرفة.
(٦) مقاييس اللغة لابن فارس: كتاب الضاد/ باب الضاد في المضاعف والمطابق/ جـ٣/ صـ٣٥٧ .

وأيد ذلك المفسرون فقال البقاعي في مناسبة الآية لما قبلها: ولما انتفى ما يظن من لبس السمع وزيغ البصر، لم يبق إلا ما يتعلق بالتآدية فنفى ما يتوهم من ذلك بقوله: ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ** ﴾[1] **وقال صديق حسن خان:** ﴿ **وَمَا هُوَ** ﴾ أي محمد ﷺ على الغيب يعني خير السماء وما اطلع عليه مما كان غائبًا علمه عن أهل مكة ﴿ **بظنين** ﴾ أي بمهتم أي هو ثقة فيم يؤدي عن الله سبحانه، لأن البخل وما في معناه لا يتعدى بعلى وإنما يتعدى بالباء، وقيل ﴿ **بِضَنِينٍ** ﴾ بالضاد أي ببخيل، قاله ابن عباس أي لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ.

وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فقرأ ابن كثير وأبوعمرو والكسائي بالظاء أي بمهتم وذلك لأنهم لم يبخلوه ولكن كذبوه واتهموه.

وقرأ الباقون بالضاد من ضننت بالشيء أضن ضنًا إذا بخلت.

قال مجاهد أي لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه، وقيل المراد جبريل أنه ليس على الغيب بضنين والأول أولى[2].

فهو ﷺ حقيق بأن يوثق بكل شيء يقوله في كل أحواله على قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب بالظاء[3]، والمعنى في قراءة الباقين بالضاد: ببخيل، أي: بل هو حريص على أن يكون كل من أمته عالمًا بكل ما أمره الله تعالى بتبليغه على القراءة بالضاد[4] وهذا الضن ليس هو البخل تمامًا بتمام إنما الضن هو البخل بالشيء النفيس، فالمضنون به في زعم الكفار وهو ما أوحي

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ ٢٩٣ بتصرف.
(٢) فتح البيان للقنوجي: جـ١٥/ ١٠٨ بتصرف.
(٣) قرأه ابن كثير وأبوعمرو والكسائي ﭽ بظنين ﭼ بالظاء، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة ﭽ وُ ﭼ بالضاد. راجع كتاب السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي أبوبكر بن مجاهد البغدادي: جـ١/ ٦٧٣ بتحقيق شوقي ضيف: ط دار المعارف تحت عنوان: ذكر اختلافهم في سورة كورت.
(٤) نظم الدرر للبقاعي: جـ٢١/ صـ٢٩٣ .

به إلى رسولنا الكريم من أمور الغيب ـ لا ريب ـ نفيس عزيز غاية في العزة والنفاسة.

وبالتالي استجمعنا هذه الفريدة مع سياق النظم وتفردت في سياقها ولم يغن غيرها عنها في أداء المعنى ـ فناسبت تلك الفريدة سياق النظم القرآني السابق إذ لما انتفى في الآيات السابقة ما يظن من لبس السمع وزيغ البصر، لم يبق إلا ما يتعلق بالتآدية والتبليغ فنفى ما يتوهم من ذلك بقوله ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ فلا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ ـ فتناسبت مع سياق النظم القرآني السابق ـ والله أعلم.

وعلى هذه القراءة بالظاء فإن اللفظة لا تعد من الفرائد لأن مادة الظن وردت كثيرًا في القرآن الكريم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين٠

لقد استخلصت من دراسة هذا البحث:

أسرار الفرائد القرآنية في بعض السور القرآنية

النبأ ــ النازعات ــ عبس ــ التكوير

النتائج الآتية:

أولاً: بعد جمع المادة العلمية لهذا البحث لجزء عم كاملاً لوحظ أن سبع عشرة سورة من سور القرآن الكريم خلت من الفرائد مطلقًا وهي على الترتيب: [الانفطار ـ الانشقاق ـ البروج ـ الأعلى ـ الليل ـ الشرح ـ القدر ـ البينة ـ الزلزلة ـ القارعة ـ التكاثر ـ العصر ـ الهمزة ـ الماعون ـ الكافرون ـ النصر ـ الناس]٠

ثانيًا: لوحظ م خلال جمع المادة العلمية أن عدد الفرائد في جزء عم ثمان وخمسون فريدة في عشرين سورة وقد تفاوت تفاوتًا واضحًا فأكثرها في سورة التكوير ـ سبع فرائد ـ وأقلها فريدة واحدة في سورة الضحى وغيرها٠

والفرائد في العشرين سورة على النحو الآتي:

السور التي ورد بها فريدة واحدة هن [الضحى ـ التين ـ الفيل]٠

السور التي ورد بها فريدتين هن [الطارق ـ العلق ـ الكوثر ـ الإخلاص ـ الفلق]٠

السور التي ورد بها ثلاث فرائد [النبأ ـ عبس ـ الغاشية ـ الفجر ـ البلد ـ الشمس ـ قريش]٠

السورة التي ورد بها أربع فرائد هي [العاديات].

السورة التي ورد بها خمس فرائد هي [المطففين].

السورة التي ورد بها ست فرائد هي [النازعات].

السورة التي ورد بها سبع فرائد هي [التكوير].

ثالثًا: تدلنا هذه الفرائد على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين منزل من قبل حكيم حميد فهي ألفاظ لم تتكرر إلا مرة واحدة ولا تكرر على أي وجه آخر مادة وصيغة ـ فسبحان من هذا كلامه.

رابعًا: أن الترادف بمعنى التطابق الكامل لا يوجد ألبتة في القرآن الكريم .

خامسًا: أكد البحث أن الترادف بمعنى التقارب واشتراك لفظين أصل المعنى ثم اختصاص كل لفظة بجزئية من المعنى لا نكون في غير مسلم به في ثنايا القرآن الكريم.

سادسًا: أكد البحث أن تلك الفرائد في نظمها وأسلوبها ومفرداتها في موضعها الأحق به والمتناسق مع ما قبلها وما بعدها، ولا يصلح غيره أن يحل محله أو يسد مسده وإلا لفسد المعنى واختل السياق.

سابعًا: كشف البحث عن سر تفرد الفرائد القرآنية في سورة النبأ، وهي كالآتي:

أولاً: ﴿ **وَهَّاجًا** ﴾ تفردها لإفادتها الكمال في النور والحر معًا وصفا دقيقًا للشمس، وذلك في سياق الحديث عن السقف والسماوات، وذكر ما فيه من منافع جمة فأتت الفريد في مظهر الدلالة على عظمها وذلك في سياق الامتنان وشكر الصانع جل وعلا.

ثانيًا: ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ تفردها لإفادتها، التدفق بقوة وشدة الانصباب على وجه التتابع وذلك في سياق الامتنان وشكر الصانع جل وعلا على انزال الماء من السحائب التي أثقلت بالماء فشارفت أن يعصرها الرياح فتمطرا ماء ثجاجا متدفقًا بقوة ومتتابع قطراته فيعظم النفع به فينبت الله به النبات من الأرض ليكون دليلا على إمكان وقوع البعث.

ثالثًا: ﴿ دِهَاقًا ﴾ تفردها لإفادتها وصف الكأس بالممتلئة المتتابعة الصافية ليمتنع أهل الجنة وذلك في سياق الحديث عن وعد الأخيار المتقين بعد الحديث عن وعيد الكفار وذلك في سياق الامتنان بالوعد للمتقين وشكر المنعم عزوجل.

إذن الفرائد في سورة النبأ وردت في سياق الحديث عن السماوات وإظهار مظهر العظمة بالسراج الوهاج، والمعصرات الثجاج، وأيضًا في سياق الحديث عما أعده الله للمتقين في الجنة من الكأس الدهاق ـ وذلك في سياق الامتنان لله عزوجل وشكره على عطاياه وفي سياق الدلالة على كمال القدرة وإمكان البعث.

ثامنًا: كشف البحث عن سر تفرد الفرائد القرآنية في سورة النازعات وهن كالآتي:

أولاً: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله: ﴿ نَّخِرَةً ﴾ إفادتها كون العظام بالية متفتتة أو كونها من شدة تفتتها صار أجوف تمر به الريح وذلك في سياق الحديث عن انكارهم للبعث بذكر حالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت ـ على حد زعمهم ـ والله أعلم.

ثانيًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله: ﴿ بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ إفادتها الأرض المستوية البيضاء التي لا ينام ساكنها خوفًا أو لأن السراب يجري فيها، سواء أرض الدنيا أم أرض يجعلها الله لجميع الناس للحشر أو أرض جهنم ـ والعياذ بالله ـ

وذلك في سياق الحديث عن النفخة الثانية التي تسبب عنها أنهم فوجئوا بغاية السرعة أنهم أحياء قائمين بالساهرة٠

ثالثًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ **سَمْكَهَا** ﴾ ولم يتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى لإفادتها شدة علو السماء ورفع أجرامها مما يتناسب مع سياق الآيات السابقة إذ الخطاب فيها لمنكري البعث بناء على صعوبة في زعمهم فخاطبهم بقوله: ﴿ **ءَأَنتُمْ أَشَدُّ.....** ﴾ توبيخًا وتبكيتًا لهم، ولا شك أن القادر على خلق السماء ورفع سمكها قادر على إحياء الموتى من قبورهم للحساب والجزاء٠

رابعًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ **وَأَغْطَشَ** ﴾ حيث أفاد الإظلام التام الذي لا يهتدي معه إلى ما كان في حال الضياء فغمرهم سواد الليل وذلك مما يتناسب مع سياق النظم الكريم للآيات السابقة إذ الخطاب فيها كان لمنكري البعث فوبخهم وبكتهم ببيان مدى قدرته جل وعلا على خلق السماوات على عظمها ورفع سمكها واغطاش ليلها والقادر على ذلك قادر على إحياء الموتى من قبورهم للحساب والجزاء٠

خامسًا: كشف البحث عن سر التعبير بالفريدة ﴿ **دَحَىٰهَآ** ﴾ حيث أفادت البسط والتمهيد للعيش عليها وهذا يتلاءم ويتناسب مع نظم الآيات إذ هي في موضع الاستدلال بإمكانية البعث وذلك بعد بدئه بدلائل العالم العلوي ثنى بالسفلي وهو بسط الأرض وتمهيدها للعيش عليها بشق أنهارها وبحارها وإخراج المرعى منها فالقادر على ذلك قادر على إحياء الموتى من القبور للحساب والجزاء٠

سادسًا: كشف البحث عن سر التعبير بالفريدة ﴿ **ٱلطَّآمَّةُ** ﴾ وهي القيامة ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت العلو والغلبة والشدة

والهول فهي داهية تعلو سائر الدواهي العظمى التي تطم على سائر الطامات فناسب ذلك سياق الآيات ونظمها إذ هذه الآية ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ النازعات: الآية ٣٤، شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم وفريدة "طامة" موافقة لما قبله من داهية فرعون وهي قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ووصفها بالكبرى موافقة لقوله ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ والله أعلم.

إذن الفرائد في سورة النازعات وردت في سياق الحديث عن البعث ومنكريه بذكر حالة جديرة بزيادة الإنكار في حد زعمهم، وهو نخر العظام ونفثهما، ووردت في سياق الحديث عن الحشر وأرض الساهرة، ووردت في سياق الحديث عن السماوات والأرض بذكر الدلائل الدالة على كمال القدرة على البعث وذلك لمنكري البعث برفع سمك السماوات وإغطاش ليل ودحو الأرض فالقادر على ذلك كله قادر على الإحياء بعد الموت، ووردت أيضًا في سياق الحديث عن القيامة وطامتها.

تاسعًا: كشف البحث عن سر تفرد الفرائد القرآنية في سورة عبس وهن كالآتي:

أولا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ وَقَضْبًا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾[1] مرة واحدة ولم يتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت كل ما يقطع ويقضب ليأكله ابن آدم غضًا من النبات أي "الرطب" والعلف للدواب، وناسب ذلك سياق الآيات إذ هي في بيان عجائب الصنع ومطلق القدرة التي يستدل بها على إمكان الحساب والجزاء.

(١) سورة عبس: الآية ٢٨ .

ثانيًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ وَأَبًّا ﴾ في قوله: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[1] وذكرها مرة واحدة ولم يتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت المرعى والكلأ وهو ما ترعاه البهائم سواء كان رطبًا أو يابسًا فهو أعم من القضب وناسب ذلك سياق الآيات السابقة حيث ذكر فيها ما يدخر ويتفكه بها من فاكهة الناس ثم ذكر فاكهة بقية الحيوان بقوله ﴿ وَأَبًّا ﴾ والله أعلم، ووافقت الفاصلة سياق الآيات إذ هي في بيان عجائب الصنع ومطلق القدرة التي يستدل بها على القدرة على البعث والحساب٠

ثالثًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾[2] ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت الداهية العظيمة التي تصخ الآذان وتصمها لشدة وقعها وناسب ذلك سياق النظم الكريم إذ تحدثت الآيات السابقة عن دلائل التوحيد والقدرة المطلقة في خلقهم ومعاشهم وإسباغ النعم العظيمة عليهم والإحسان إليهم ثم شرع سبحانه في هذه الآية ببيان أحوال معادهم وشرح أهوال القيامة وكونها تصخ الآذان فهي الصاخة للخوف والتأمل في دلائل القدرة والإيمان بها٠

وحضت النازعات بالطامة لأن الطم قبل الصخ والفزع قبل الصوت فكانت هي السابقة وخصت عبس بالصاخة لأنها بعدها وهي اللاحقة ـ كما سبق ـ ٠

إذن الفرائد في سورة "عبس" وردت في سياق الحديث عن النباتات وكيف يستدل بها على البعث بذكر ﴿ وَقَضْبًا ﴾ مما لا يصلح للإدخار يوجه بعد ذكر ما يقتات به ويصلح للادخار وهو الحب ثم ما هو فاكهة وقوت وهو العبث ويصلح

(١) سورة عبس: الآية ٣١ ٠
(٢) سورة عبس: الآية ٣٣ ٠

للادخار إذا عولج، وكذلك يذكر﴿ وَأَبًّا ﴾ مما هو فاكهة بقية الحيوان من المرعى والكلأ ، ووردت أيضًا في سياق الحديث عن القيامة وأهوالها بذكر ﴿ ٱلصَّآخَّةُ ﴾٠

عاشرًا: كشف البحث عن سر تفرد الفرائد القرآنية في سورة التكوير وهن كالآتي:

أولا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ ٱنكَدَرَتْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾[1] وعدم تكرارها على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت التناثر والتساقط الذي هو في غاية الإسراع وإظلامها وتغيرها لزوالها عن أماكنها وذلك مراعاة لسياق النظم الكريم قبلها إذ ختمت سورة عبس بالوعيد للكفرة الفجرة بيوم الصاخة، وابتدأت سورة التكوير بإتمام ذلك فصور ذلك اليوم بما يكون به من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت لبيان زواله وعدم التعلق به فذكر تكوير الشمس فالتأثير في الأعظم من تكوير الشمس والأعلى التأثير فيما دونه بطريق أولى فأتبع ذلك قوله معمما بعد التخصيص بانكدار النجوم٠

ثانيًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ ٱلْوُحُوشُ ﴾ في قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[2] وعدم تكرارها على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت ما توحش من دواب البر غير المتآنس بالناس، ومما لا يستأنس فهي مع توحشها وشدة نفرتها من هول هذا اليوم تجتمع فناسبت سياق الآيات السابقة واللاحقة بها ــ كما سبق ــ٠

(١) سورة التكوير: الآية ٢ ٠
(٢) سورة التكوير: الآية ٥ ٠

ثالثًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله ﴿ **ٱلْمَوْءُۥدَةُ** ﴾ في قوله: ﴿ **وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ** ﴾[1] ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت الدفن حيًا فهي موءودة لما يوضع عليها من التراب فيثقلها، وذلك يتناسب مع سياق النظم الكريم السابق وهو ذكر الآيات العلوية والسفلية من عالم الملك، وذكر ست من عالم الغيب والملكوت منهن تزويج النفوس ترغيبًا في الأعمال الصالحة والقرناء الصالحين ثم ذكر ما هو المقصود الأعظم وهو السؤال على وجه العموم بقوله: ﴿ **وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ** ﴾، وسؤالها وعقوبة من وأدها أول ما يقضى فيه يوم القيامة وهو أول ما يعلم به حين الجزاء فلهذا السؤال وقتًا تعلم عنده كل نفس ما أحضرت فناسبت تلك الفريدة سياق النظم السابق واللاحق.

رابعًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله: ﴿ **كُشِطَتْ** ﴾ في قوله: ﴿ **وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ** ﴾[2] ولم تتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت القلع بقوة عظيمة وسرعة زائدة وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيط به فالكشط أبلغ وأعمق وأقرب وأقوى للمنزوع وناسب ذلك نظم سياق الآيات السابقة لأنها ذكرت أثناء أحداث يوم القيامة بعد قوله: ﴿ **وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ** ﴾ وقوله: ﴿ **وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ وذكر بعدها ﴿ **وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ** ﴾ فناسبت السابق واللاحق.

خامسًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله: ﴿ **ٱلْكُنَّسِ** ﴾ في قوله: ﴿ **ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ** ﴾[3] ولم تتكرر على صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت إخفاؤها تحت ضوئها أي غروبها فهي تكنس في المغيب أي تستتر الكواكب وتختفي تحت ضوء الشمس وذلك يتناسب مع نظم الآيات السابقة لما كان السياق للترهيب فكان

(١) سورة التكوير: الآية ٨.
(٢) سورة التكوير: الآية ١١.
(٣) سورة التكوير: الآية ١٦.

الأليق بآخر عبس أن يكون للكفرة وكان أعظم ما يخطره الكفرة ن أعمالهم بعد الشرك التكذيب بالقرآن وسبب عن ذا التهديد بقوله: مقسمًا بما دل على عظيم قدر المقسم عليه بتر الإقسام بأشياء هي من الإجلال والإعظام في أسمى مقام ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾ التكوير- الآية ١٥، أي لأجل حقية القرآن لأنه غني عن القسم لشدة ظهوره وانتشار نوره ثم أبدل من الخنس أعظمها وهي الجواب الكنس فناسبت سياق النظم القرآني السابق واللاحق.

سادسًا: كشف هذا البحث عن سر تفرد قوله: ﴿ عَسۡعَسَ ﴾ في قوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾[1] ولم تتكرر على صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفات أدبر أي أقبل بظلامه حيث ذكر بعده ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ التكوير: ١٨، وتنفس الصبح يشير إلى أن ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ تنطبق على بداية الغروب عند القدوم وبداية الغروب عندما يتنفس الصبح ضوءًا شيئًا فشيئًا، وذلك ناسب نظم السياق القرآني قبلها فهي ممن ترك الإقسام بها لعظم قدر المقسم عليه وهو القرآن لشدة ظهوره وانتشار نوره مع الجوار الكنس فناسبت الآية نظم السياق.

سابعًا: كشف هذا البحث على سر تفرد قوله: ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ في قوله: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾[2] ولم يتكرر على أي صورة أو صيغة من الصيغ الأخرى إذ أفادت البخل بالشيء النفيس فالمضنون به في زعم الكفار ما أوحى به إلى رسولنا ﷺ فناسبت النظم القرآني السابق إذ لما انتفى في الآيات السابقة ما يظن من لبس السمع وزيغ البصر، لم يبق إلا ما يتعلق بالتأدية والتبليغ فنفى ما يتوهم من ذلك

(١) سورة التكوير: الآية ١٧ .
(٢) سورة التكوير: الآية ٢٤ .

بقوله ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ فلا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ فتناسبت مع سياق النظم القرآني السابق.

إذن: الفرائد في سورة (التكوير) وردت في سياق الحديث عن يوم القيامة وأهواله بانكدار النجوم من العالم العلوي عالم الملك الشاهد، وشر الوحوش من العالم السفلي عالم الملك المشاهد، وسؤال الموءودة، وكشط السماء يوم القيامة من عالم الغيب والملكوت، ووردت الفرائد أيضًا في سياق الحديث عن الكواكب الخنس الجوار الكنس ممن ترك الإقسام بها لعظم قدر المقسم عليه وهو القرآن، ووردت أيضًا في سياق الحديث عن الليل إذ عسعس ممن ترك الإقسام به أيضًا لعظم المقسم عليه وهو القرآن.

المراجع

- القرآن الكريم.
- مراجع التفسير.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ط دار إحياء التراث العربي.
- البحر المحيط لأبي حيان ـ ط دار الفكر.
- التحرير والتنوير لابن عاشور ـ ط/ دار سحيون.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ ط/ دار الكتب المصرية.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ـ ط دار القلم ـ دمشق.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ـ ط دار الفكر بيروت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط دار الفكر.
- التفسير الكبير للفخر الرازي ـ ط دار الفكر.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ـ ط دار المعرفة.
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لمحمود بن بي الحسن علي بن الحسن النيسابوري ـ المحقق رسالة علمية ـ سعاد بنت صالح بن سعيد ـ الناشر ـ جامعة أم القرى.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) لجمال الدين أبوالفرج الجوزي ـ ط دار الكتب العلمية ـ تحقيق طارق فتحي السيد.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ـ ط دار طيبة للنشر .
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ـ ط دار هجر.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ط المكتبة التجارية.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ــ ط دار الكتاب العربي ــ بيروت.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ــ ط دار الكتب العلمية.
- غريب القرآن لابن قتيبة ـ ط دار الكتب العلمية.
- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق حسن بن علي الحسن القنوجي ـ ط المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني ـ ط دار الحديث.
- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ط دار الكتب العلمية.
- محاسن التأويل للقاسمي ـ ط دار الفكر.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ـ ط دار الكلم الطيب.
- معالم التنزيل للبغوي ـ ط دار إحياء التراث العربي.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ط دار الكتاب الإسلامي.

مراجع علوم القرآن:

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ـ ط دار عالم المعرفة.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في متشابه القرآن للكرماني ــ ط دار الفضيلة .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ــ ط المكتبة العلمية ـ بيروت.
- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ـ ط جامعة أم القرى.

- ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل للغرناطي ط دار الكتب العلمية.

مراجع القراءات:

- كتاب السبعة في القراءات للبغدادي ط دار المعارف.

مراجع السنة الشريعة:

- مسند الإمام أحمد ـ ط دار الحديث.

مراجع اللغة:

- الصحاح الجوهري ـ ط دار الكتب العلمية.
- القاموس المحيط للفيروزآباي ـ ط مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان.
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ ط دار الدعوة.
- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط دار الكتب العلمية.
- لسان العرب لابن منظور ـ ط دار صادر بيروت ـ لبنان.
- مختار الصحاح للرازي ـ ط/ دار المنار.
- معجم الفرائد القرآنية لباسم سعيد البسومي ـ ط الناشر: مركز النون للدراسات التراثية.
- مفردات غريب القرآن للأصفهاني ـ ط دار المعرفة.
- مقاييس اللغة لابن فارس ـ ط دار الفكر.

بلاغة:

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع البغدادي ـ ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.